الفصل الخامس

خطة اتصـــالية واقعية

في عالمنا المعاصر ليس الأمر مغلقاً ولا بائسا ولا يجب علينا أن نستسلم لليأس. فكل صاحب قضية ينبغي عليه أن يحمل قضيته علي كتفه ويقرع الأبواب. والدعوة الإسلامية هي قضيتنا المحورية. ونحن مأمورون بالسعي والبلاغ، وأن نحشد أنفسنا قلوبا وعقولا وأموالا لتحقيق إبلاغ الدعوة وشرح الإسلام وتفسيره للعالم، والدفاع عن ذاتنا الإسلامية. للدعوة الإسلامية جانبان: جانب بنائي يتمثل في توجيه الخطاب الإسلامي للناس وشرح الإسلام وتفسيره وكسب أفئدتهم إليه، ونشر مبادئه وروحه. وكيفية ممارسة نظامه وكيانه. وجانب دفاعي يتمثل في الرد علي الخطاب المعادي للإسلام وبيان جوانب الخطأ فيه سواء عن قصد أو غير قصد. ويشمل ذلك تحصين المسلم ضد الغزو الثقافي، كما يشمل محاولة كسب الرأي العام المعادي جزئيا أو كليا للحقوق الإسلامية المشروعة، ولحق المسلمين في العيش في سلام وحرية وعدل. هذان الجانبان يمثلان الهيكل الرأسي للدعوة الإسلامية. وفي المقابل يمثل الهيكل الأفقي للدعوة الكيانات الاجتماعية التي يتوجه إليها الخطاب الإسلامي. والتي تتمثل في المجتمع المحلي ثم المجتمع الوطني ثم المجتمع القومي ثم المجتمع العالمي. والتقاء الهيكل الرأسي للدعوة مع الهيكل الأفقي لها يفرز لنا خطة الدعوة. ويمثل النموذج التالي تصوراً لهذه المقولة كما نعيد تحديد مفاهيم هذا النموذج باعتبار النموذج إطاراً عاما لخطة شاملة للدعوة الإسلامية وللإعلام الإسلامي.

نموذج خطة الدعوة والإعلام

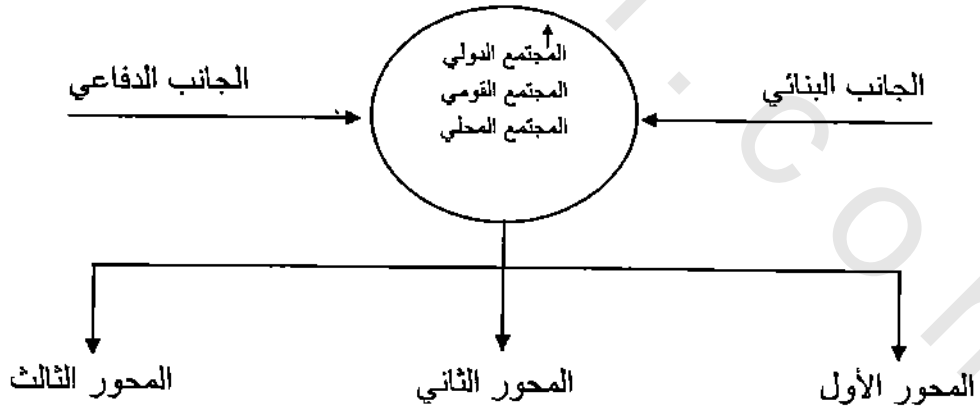

الجانب البنائي:

يتمثل الجانب البنائي من خطة الدعوة وخطة الإعلام في حشد الطاقات البشرية والمادية المتاحة في البلدان العربية والإسلامية، ولدى الأقليات الإسلامية في بلدان العالم وتوظيفها في خطة طموحة تحقق أهداف الدعوة الإسلامية وتتسم بالاستمرارية والنماء والتوسع والتنسيق والترابط.

الجانب الدفاعي:

ويتمثل الجانب الدفاعي من خطة الدعوة وخطة الإعلام في أمرين: الأول: مقاومة الغزو الثقافي لحماية المجتمعات الإسلامية، وتفنيد مزاعم الغزو وفضحه أمام الناس جميعاً، حتى لا يؤثر ببث صورة سلبية للإسلام علي الآخر، ومن ثم يغلق عقولهم وقلوبهم أمام دعوة الإسلام، ويحولهم تلقائيا إلي أعداء أو خصوم للفكرة الإسلامية وللإنسان المسلم.

والأمر الثاني: مقاومة ظاهرة التحريف والتشويه للفكر الإسلامي من داخل صفوفه، سواء بالتطرف أو بالتسيب وإلغاء ضوابطه حتى يصبح مسخا مختلفا عن حقيقته وجوهره وروحه. وسواء كانت هذه الظاهرة دسيسة من الغير أو انحرافا وضيق فهم من أبناء الدين فإن المقاومة واجبة بغض النظر عن أوعية الفتنة ومن أيها خرجت.

مفهوم المجتمع المحلي ثم القومي ثم العالمي:

يتحدث علماء الاجتماع عن النسق الاجتماعي من دائرة الأسرة الصغيرة زوج وزوجة إلي دائرة المجتمع الدولي. وهذا ما يتلاءم مع طبيعة بحثنا.

إن مفهوم المجتمع في هذا الصدد يعني المفهوم الثقافي والعام. وعلماء الاجتماع[١٤٥] يقولون لنا: إن الاجتماع الإنساني ليس حشداً من الأفراد كيفما اتفق، ولكنه اجتماع منظم له نظمه وأوضاعه وله أغراضه العامة. ومن الضروري أن تتدخل الإرادة الجمعية والعقل الجمعي لتنظيم المجتمع أيا كان نطاقه وطبيعته وفقا للاتجاهات العامة وما يرتضيه شعور الجماعة وما تراه محققا لأهدافها. ولأن كلمة مجتمع **Society** تعبر عن الإطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون داخل نطاقه، ولأن هذه العلاقات ينبغي أن تكون مستقرة ومنظمة وقائمة بصفة مباشرة وهذا لا يتوفر دائماً، ولأن المجتمع الحديث يتميز بتعقيد جماهيره وهيئاته وروابطه، من أجل ذلك كله نجد معظم علماء الاجتماع يفضلون استعمال مصطلحات أكثر دقة داخل الإطار العام للمجتمع. فهم يحددون مصطلح المجتمع المحلي Community للأفراد الذين يعيشون في منطقة أو بيئة محدودة النطاق والمعالم، ويحددون مصطلح الجماعات Groups لعدد من الأفراد يمتاز بطابع خاص، ويرتبط أعضاؤه بروابط معينة، ويسعون إلي هدف مشترك، ويكونون في صلة دائمة، مثل فريق الكشافة وفريق كرة القدم وغير ذلك. ويحددون مصطلح الجمهرة أو الزمرة ومجموعها الزمر Crowds مثل مشاهدي مواكب العرس ومواكب الاستعراضات العامة، والمشتركون في المظاهرات العامة وما شابه ذلك. ويحددون مصطلح الجمهور The Public بأنه الحشد غير المنظم إراديا وهو يتألف من أفراد تجمع بينهم أفكار ورغبات مشتركة ورأي عام موحد، وليس بينهم اتصال مباشر لأنهم من الكثرة العددية بحيث يتعذر علي كل منهم أن يقيم علاقات شخصية بينه وبين الآخرين. ويحددون مصطلح الدهماء The Mob أو الغوغاء بأنه حشود غير منظمة تسودها الجلبة والضوضاء، وتؤثر فيها الانفعالات والعواطف والأفكار غير المنطقية، وتخضع للأهواء والرغبات الفردية أكثر من خضوعها لفكر واحد ومشاعر موحدة ومواقف جماعية. ويحددون مصطلح المنظمات والهيئات الاجتماعية

---

(١٤٥) فاروق محمد العادلي – المدخل إلي علم الاجتماع – دار الكتاب الجامعي – ١٩٨٩م، ص ٧، ص ٢٠.

Associations بأنه عبارة عن طائفة من الأفراد يجتمعون فيما بينهم وينتظمون بمقتضى دستور وقواعد موضوعة ومحددة لتحقيق أهداف مرسومة وتنفيذ وظائف خاصة مثل الأحزاب والنقابات والجمعيات العلمية وغير ذلك. ويحددون مصطلح النظم الاجتماعية Social Institutions بأنها الأوضاع التي يصطلح عليها المجتمع لتنظيم العلاقات بين الأفراد في مختلف شئونهم، وهي طرق التفكير والعمل السابقة في نشأتها وقيامها علي وجود الأفراد مثل نظم الزواج والبيع والقضاء والمعايير والقيم الأخلاقية.

هذا التحديد الذي يضعه أمامنا علماء الاجتماع داخل الدائرة العامة أو الإطار العام لمفهوم المجتمع تزيد من وضوحه. فنراه أشبه بالكرة الشفافة نعرف ما بداخلها ونستطيع أن ندرك التفاعلات التي يمكن أن تحدث بين العناصر الداخلية. ولقد عبر أحد علماء الاجتماع وهو "الثوسر Althusser" عن هذا المعني بقوله إن المجتمع موجود علي هيئة عناصر كثيرة متشابكة مع بعضها وتتم بينها ممارسات مختلفة مثل الاقتصاد والسياسة و "الأيدلوجية"، وتشكل هذه العناصر مجتمعة ما يوصف بالممارسة الاجتماعية.

والقاموس الذي وضعه نخبة من علماء الاجتماع العرب[١٤٦] يؤيد هذا المعني ففي تعريف كلمة مجتمع Society نجد الاستخدامات الشائعة الممثلة فيما يلي:

أ) مجموع العلاقات الاجتماعية بين الناس.

ب) تجمع للكائنات الإنسانية بين الجنسين، ومن كل المستويات العمرية يرتبطون معا داخل جماعة اجتماعية لها كيان ذاتي ونظمها وثقافتها المتميزة.

ج) النظم والثقافة التي تتحقق عند جماعة من الناس.

ويشير هذا المرجع إلي أن المجتمع جماعة الناس الذين لهم ثقافة مشتركة ومتميزة تحتل جزءاً إقليمياً محدداً، وتتمتع بشعور الوحدة، وتنظر إلي ذاتها ككيان متميز.

من هذا المفهوم الثقافي لمعنى المجتمع يمكننا أن نحدد الحيز الاجتماعي الذي نتقدم إليه بالدعوة. فهو قرية صغيرة في عالمنا العربي والإسلامي، وهو أسرة مهاجرة من أبنائنا في

---

(١٤٦) المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، تأليف نخبة من أساتذة قسم الاجتماع – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ص ٤٥١.

الخارج. وهو وطن من أوطاننا وهو شعب أجنبي وهو الساحة العالمية بأسرها. ولكل مجتمع الخطة التي نقدمها له في مجال الدعوة والإعلام الإسلامي.

والعناصر التقليدية المعروفة للخطة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية هي:

١- فهم الواقع.

٢- تحديد الأهداف.

٣- اختيار أنسب الوسائل.

٤- المتابعة والتقييم.

وفي خطط الدعوة والإعلام الإسلامي ينبغي علينا أن نستعين بهذه العناصر في خططنا الفرعية أو المحلية. ولكننا في سياق حديثنا في هذا الفصل عن خطة اتصالية واقعية فإننا نتحدث عن إطار عام شامل للدعوة. ثم تكون الخطط على المستويات الأفقية والرأسية التي تحدثنا عنها، و ما يتفرع منها وما يستجد من فروعها.

لذلك سوف نتناول المحاور التي تضيء لنا الطريق في تخطيطنا للدعوة حتى نتسلح بقدر معقول من علامات الطريق.

المحور الأول
الإبـداع[١٤٧] المطلوب هو السهل الممتنـع

لعل أوضح تعريف للمعنى المقصود للإبداع في بحثنا هذا هو ما أوردته دائرة معارف العلوم الاجتماعية. في صفحات كثيرة نختار منها ما يتعلق بالجوانب الاجتماعية للإبداع. تقول دائرة المعارف المشار إليها: " إن الارتباطات المتعلقة بمفهوم الإبداع ارتباطات نفسية في أغلبها. فالإبداع متعلق بالصفات الشخصية مثل الأصالة والذكاء والتلقائية وما شابه ذلك. ولكن من زاوية أخرى فإن المنظمات الاجتماعية سواء كانت رسمية، أو أهلية، صغيرة، أو كبيرة يمكن أن يطلق عليها أنها إبداعية. الأمر الذي يُعني بها باعتبارها منظمات إبداعية أكثر من مجرد تشغيلها لمجموعة من الأشخاص المبدعين. والآثار المترتبة علي هذا المفهوم تتجسد في الطريقة التنظيمية للمنظمة الاجتماعية بغض النظر عن عدد العناصر الإبداعية الفردية، فالنقل الجماعي للأفراد لإنتاج منتج جماعي وإنجازات جماعية هي التي تعكس الخصائص الإبداعية للجماعة."[١٤٨]

هذا المفهوم لمعنى العمل الإبداعي أقرب ما يكون إلي بحثنا هذا. ومن عناصر السهل الممتنع أن يضع الإعلام الإسلامي نفسه في موضع المخاطب. يقول المستشرق الفرنسي المعاصر الراحل "جاك بيرك" الذي قام بترجمة جديدة للقرآن الكريم: " إنني قد جعلت مواقفهم مواقفي عندما درست كتابهم المقدس، مع احتفاظي بالمسافة المناسبة،

---

(١٤٧) في (الصحاح): أبدعت الشيء: اخترته لا على مثال. وفي (المعجم الوسيط): بدعه: إنشأه على غير مثال سابق. وفي (تاج العروس): المبتدع: يقال جئت بأمر بديع أي محدث عجيب. وفي (لسان العـرب) لابن منظور: بدع: بدع الشيء يبْدَعُه بَدْعًا وابتدعه: أنشاه وبدأه.

في القاموس الفرنسي (La rousse) الإبداع (créativitye) القدرة علي تخيل حلول مبتكرة.

(١٤٨) International Encyclopedia of the social sciences – volume 3 – The Macmillan company and the free press – 1968 – P. 435 – 460

لتمييز نفسي ولإبراز هويتي. لقد وضعت نفسي في جلبابهم أي تقمصتهم، كما يقال بالعربية. مع بقاء نفسي. هذا الاندماج العابر يعزّز فيّ المماثل والمختلف معا".(١٤٩)

لذلك فإن فهم الواقع الذي نتوجه إليه بالخطاب من أهم ركائز الإبداع المطلوب.

ولكي نفهم الواقع فهماً صحيحاً لابد أن نفرز عوامل عديدة حتى يصبح فهمنا أقرب إلي الصحة والدقة. أولها إزالة الغيوم التي يسببها التضليل الإعلامي علي المجتمعات سواء كانت محلية أو أجنبية أو عالمية. وثانيها معرفة الخلفية الثقافية للواقع الاجتماعي الذي نخاطبه.وثالثها ربط الفروع بالأصول لإقامة هيكل معرفي ومنطقي للواقع الذي نريد مخاطبته. والنقطة الرابعة هي ملاحقة التطورات في الخرائط السياسية والثقافية والعسكرية.

في النقطة الأولى وهي إزالة غيوم التضليل الإعلامي يمكننا الاستعانة بمقاييس المصداقية في الإعلام.

علينا تعميق مفاهيم المصداقية، وتأصيل المقاييس التي يمكن أن تنير لنا دروب التفكير الصائب والرؤية الصائبة والأحكام الصائبة قدر الطاقة، وقدر الجهد الإنساني. وأقصد بلغة الجمع الباحثين العرب والإعلاميين العرب والقراء والمستمعين والمشاهدين العرب. وما أنا إلا من هؤلاء.

خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين وهذا العقد الأول من القرن الحادي والعشرين هبت علي العالم بوجه عام وعلى منطقتنا العربية بوجه خاص رياح وتيارات عنيفة ومتضاربة في دوامات الصراع العسكري والصراع السياسي والصراع الإعلامي. وقد أفرز ذلك ضمن ما أفرز من بين التساؤلات التي ينبغي التفكير فيها ذلك التساؤل: كيف نقيس المصداقية في الإعلام العربي؟

---

(١٤٩) جاك بيرك – أي إسلام (ترجمة بشير السباعي) – ط ١ – دار العالم الثالث – القاهرة – ٢٠٠٤م – صـ ٦.

لقد كتبت بحثاً عام ١٩٨٧م عنوانه: "كيف نقيس المصداقية في الإعلام العربي؟" ولم أتطرق إلي الدراسات الأمريكية والأوروبية عمداً. لأنني كنت أراها بعيدة عن رؤيتي الثقافية وواقعي الإعلامي العربي؛ لأن بحوثهم في العقد السادس من القرن العشرين مرتبطة باقتصاديات الوسائل الإعلامية، في معرفة مدى إقبال أو إدبار المعلنين عن الإعلان في وسائل لا يصدقها. ولكن التطور العالمي وطبيعة هذا البحث أوجبت أن ننظر إلي المصداقية في الإعلام العالمي.

تشير الدراسات السابقة في الإعلام الغربي في قياس المصداقية إلي ما يتصل بالعلاقة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين فيما يتعلق بالحرب الباردة، وفي حالة تعرض أوروبا لهجوم سوفيتي. وكان القصد من دراسة المصداقية عندهم التحقق من مدى مصداقية الإعلام الأمريكي والسياسة الأمريكية عند جمهور حلفائهم الأوروبيين.

ولكن العقدين الأخيرين من القرن العشرين حملا رياحا جديدة، وعواصف وتيارات عنيفة، وأمواجا كالجبال غيرت مسار الخيام والقلاع والسفن. وتطلبت إعادة التفكير والتدبر والعمل.

ومن محاضرة للأستاذ السيد ياسين[١٥٠] حول حالة العرب اليوم يقول: "إن الانتقال الحضاري في إطار المجتمع العالمي من نموذج المجتمع الصناعي إلي نموذج مجتمع المعلومات العالمي، يعني في الواقع التركيز علي قضايا ومشكلات ومسائل لم يسبق للمجتمع الصناعي أن طرحها، وذلك أن مجتمع المعلومات العالمي الذي يتحول ببطء وثبات إلي مجتمع المعرفة لا يعني فقط تكنولوجيا المعلومات المتقدمة، ولكنه في الواقع لابد لقيامه من تحقيق الديمقراطية بالفعل في المجتمع. لأنه يقوم علي مبدأ الشفافية وحرية تداول المعلومات، وحق كل مواطن في الحصول على المعلومات مجاناً وفي أي وقت. ومن شأن ذلك في الواقع ترشيد عملية اتخاذ القرارات في المجتمع".

ويرى السيد ياسين أن تطبيق الديمقراطية في كل الميادين أصبح هو المقدمة الضرورية لتأسيس مجتمع معلوماتي عربي. ينبغي التخطيط له بدقة لكي يتحول إلي مجتمع من

---

(١٥٠) السيد ياسين – تشخيص الوضع العربي – جريدة الأهرام بتاريخ ١٤-٨-٢٠٠٣م

مجتمعات المعرفة، بحيث تصبح عملية إنتاج المعرفة ــ التي ستكون هي المعيار الفاصل بين المجتمعات المتخلفة والمجتمعات المتقدمة ــ هي الشغل الشاغل الأساس للنخب السياسية العربية، وللنخب العلمية والفكرية والثقافية.

وعن الحالة العربية يقول السيد ياسين: "الحالة العربية مفهوم يشير إلي أن المجتمع العربي المعاصر أصبح يمر بأزمة بالغة الحدة والعنف، نتيجة لتراكم السلبيات عبر نصف القرن الماضي في مجال الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهذه الحالة العربية مارست تشخيصها ووضع البدائل لتجاوزها عديد من المؤسسات العلمية والثقافية العربية، بالإضافة إلي النقد الصارم الذي وجهه إليها عدد كبير من المثقفين العرب النقديين والذين ينتمون إلي تيارات فكرية شتى. منهم الماركسيون والاشتراكيون والقوميون والليبراليون والإسلاميون، والذين أجمعوا جميعا علي وجود علل أساس في الممارسات العربية".

وثمة بحوث تناولت تحليل مستويات المصداقية علي النحو التالي:

أولا: مصداقية المصدر:

وهي ثلاثة مستويات: مصداقية عنصر الافتتاحية، ومصداقية المصدر المستوعبة، ومصداقية المصدر النهائية، كما حددت الدراسات أربعة مكونات أساس لمصداقية المصدر هي: الإحساس بالأمان للمصدر، الخبرة والمهارة، الديناميكية، الإعجاب أو الحب.

ثانيا: مصداقية القائم بالاتصال:

وأبرز مكوناتها التي أجمع عليها الدارسون هي: إمكانية الوصول إليه، الخبرة الموضوعية، المعاصرة.

ثالثا: مصداقية الرسالة:

ولها مكونات يتعلق بعضها بشكل الرسالة أو أسلوب بنائها وهي: المقروءة أو المسموعة، توفر عنصر الاهتمام الإنساني، وتنوع المفردات اللغوية المستحدثة، والواقعية، والقابلية للتحري أو الاختبار الواقعي.

رابعا: مصداقية الوسيلة:

وهي ضمن مصداقية الوسيلة نفسها ومصداقية الوسيلة مقارنة بوسائل أخرى، وقد اختلف الدارسون في تحديد مكونات مصداقية الوسيلة الاتصالية وإن كان هناك اتفاق علي بعض المكونات الأساس مثل:

١ــ الكفاءة.	٢ــ الدقة.
٣ــ تقييم أحدث الأخبار.	٤ــ العناية بالمجتمع.
٥ــ العناية بما يفكر فيه الناس.	٦ــ عدم التحيز.
٧ــ القيام بدورها الرقابي.	٨ــ عدم الإثارة.
٩ــ الشجاعة.	١٠ــ الإنصاف.
١١ــ احترام خصوصية الناس.	١٢ــ فصل الحقائق عن الآراء.
١٣ــ إمكانية الوثوق فيها.	١٤ــ العناية بالفائدة العامة.
١٥ــ الالتزام بالمعايير الأخلاقية المهنية	١٦ــ التمتع بشخصية متميزة.

١٧ــ أن القائمين بالاتصال فيها مؤهلون بشكل جيد.

ويذهب بعض الكتاب إلي القول بأن كلمة المصداقية دخلت لغة الصحافة العربية علي يد الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل. وأنه هو الذي نحت كلمة المصداقية ترجمة لكلمة المصداقية **Credebility** في الكتابات السياسية والاستراتيجية والإعلامية. وهذا – في رأيي – صواب سديد.

وحجتي في ذلك أن الأستاذ هيكل رجل أسلوب وبلاغة إلي جانب معرفته الإنجليزية معرفة يوثق بها، ومعرفته الإعلامية والسياسية بمصطلحات عصره عالميا.

وهي كلمة جديدة علي اللغة الإنجليزية ذاتها فلم أجدها في دائرة المعارف البريطانية الجديدة **The New Encyclopedia Britannica** طبعة ١٩٩٥م. وإن كانت في قاموس "ويبستر" حيث يذكرها القاموس بأنها الخاصية التي تقود إلي الاعتقاد أو التصديق، وبأنها القابلية للتصديق. كذلك في قاموس "لونجمان"

(Longman) يذكرها القاموس بأنها الخاصية التي تجعل القول مستحقاً للصدق والثقة.

وثمة تعريف لمصداقية المصدر علي أنه الدرجة التي عندها يدرك الفرد أن المصدر الإعلامي يصور العالم الحقيقي بصدق كامل.

ومن الباحثين من يرى أن مصداقية المصدر تشمل الحكم علي كل من خبرة وسائل الإعلام في تغطية موضوع ما. وتحيز الوسائل الأخرى في تغطية الموضوع ذاته، ولقد وضعت الدكتورة عزة عبد العزيز تعريفا لمفهوم المصداقية تقول فيه: المصداقية نوع من المعالجة المهنية والثقافية والأخلاقية للمادة الصحفية بحيث يتوافر فيها كل أبعاد الموضوع والاتجاهات المطروحة حوله بطريقة متوازنة تستند علي شواهد وأدلة، ودقة في عرض المعلومات وفصلها عن الآراء الشخصية التي ينبغي أن تعلن بوضوح وصراحة، وتجرد من الأهواء والمصالح الخاصة بحيث تتسق مع الآراء الأخرى التي تطرحها الصحيفة أو يطرحها الكاتب في وقت آخر أو موضوع آخر، وذلك في إطار من التعمق والشمولية، يراعي علاقة الخاص بالعام، وربط الجزء بالكل شرط أن تعكس هذه المادة الصحفية أولويات الاهتمام عند الجمهور(١٥١). ويسرد الدكتور محمود علم الدين المفاهيم الواردة في عدد من بحوث الإعلام في أمريكا وأوربا قائلا(١٥٢): أعطت البحوث عدة أبعاد لجوانب ومكونات للمصداقية هي:

١ـ الإحساس بالأمان Safety.
٢- الخبرة Qualification.
٣ـ الحيوية Dynamism.
٤ـ المعرفية Knowledgability.
٥ـ الدقة Accuracy.
٦ـ الإنصاف Fairness.
٧ـ الاكتمال Completenes.

---

(١٥١) عزة عبد العزيز – رسالتها التي نالت بها درجة الدكتوراه عام ١٩٩٦م بعنوان: مصداقية الصحافة المصرية "القومية والحزبية" – كلية الآداب بسوهاج – ص ٩٠.

(١٥٢) د.محمود علم الدين – مصداقية الاتصال – دار الوزان للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٨٩م.

وفي محاولة الاقتراب من تعريف المصداقية كانت للدكتورة سهام نصار[١٥٣] في بحثها عن المصداقية والصفوة إضافة جديدة مستقاة من البحوث الغربية حيث تقول:

تعددت المقاييس التي استخدمها الباحثون لدراسة مصداقية الخبر، فقد استخدم Kay وجونسون (١٩٩٨ و ٢٠٠٠) مقياساً من أربع عناصر هي: القابلية للتصديق Believability، والعدالة أو الإنصاف Fairness، والدقة Accuracy، والتعمق Depth of.

أما Sunder (١٩٩٩) فقد استخدم ستة عناصر لقياس مصداقية الخبر وهي: العدالة، والدقة، والقابلية للتصديق، والموضوعية، والتحيز Bias، والإثارة Sensationalism. وثمة باحثون آخرون قاموا بعمل مقياس من العناصر التقليدية التي وجدت في الأدبيات وهي: الدقة، والجدارة بالثقة، وعدم التحيز، والاكتمال، واحترام الخصوصية، وتمثيل مصالح الفرد، والاهتمام برفاهية المجتمع، وفصل الرأي عن الحقيقة، والأسس الواقعية للمعلومات المنشورة، وكفاءة المندوب.

وميز ويستلي Westly وسيفرين Sevrin بين مصداقية المصدر ومصداقية الوسيلة، ووجد أن تفضيل الفرد للوسيلة والوقت الذي يقضيه معها يرتبط إيجابيا بمستوى المصداقية المنسوب إليها.

وتقول الدكتورة سهام نصار:

"لقد استنتج الباحثون أن المصداقية مفهوم متعدد الأبعاد، ومع ذلك ظلت الأبعاد التي تم تحديدها لقياس المصداقية تختلف من دراسة إلي أخرى وقد اهتم الباحثون بتطوير مفهوم أكثر اكتمالا للمصداقية، وتوصلوا من خلال التحليل العاملي للأبعاد الكامنة للمصداقية إلي تحديد العناصر التالية: الإحساس بالأمان Safety، والكفاءة Qualification، والديناميكية Dynamism، والمعرفة Knowledgability،

---

(١٥٣) سهام نصار ــ بحث مقدم للمؤتمر السنوي التاسع لكلية الإعلام ــ جامعة القاهرة ــ ٢٠٠٣م .

والدقة Accuracy، والإنصاف Fairness، والاكتمال Completeness، وكذلك الفروق بين وسائل الإعلام والناس كمصادر للاتصال".

وفي القانون يكاد يتوازى معنى الصدق بمعنى الحق وبمعنى العدل. وإذا كان لي أن أختم هذا المبحث برأيي في مفهوم المصداقية فإنني لا أجد تعريفا لها غير كلمة واحدة هي الإنصاف.

بمعنى أن يأخذ كل ذي حق حقه في السؤال التقليدي المركب في الإعلام من؟ ومتى؟ وماذا؟ وأين؟ وكيف؟. ذلك السؤال الذي يتعلمه طالب الإعلام في السنة الأولى عن الأسئلة التي يجيب عنها الخبر لتكتمل عناصره.

ومن اللافت للنظر أن الإنصاف قيمة في حياتنا العربية حتى قبل ظهور الإسلام. فكتب التاريخ تقول إن العرب في الجاهلية كانوا أهل نصفة. وكان حلف الفضول في الجاهلية مثالاً علي الإنصاف.

وجاء الإسلام ليؤكد مفهوم الإنصاف. وجزء من آية واحدة من القرآن الكريم في سورة الأنعام يؤكد المعنى الذي نقصده، بل ختام الآية يحمل الدلالة الإعلامية التي نتحدث عنها.

(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) "آية ١٥٢ سورة الأنعام"

ومن اللافت للنظر أيضا أن هذا الجزء من الآية القرآنية يرد في الوصايا التي وردت محكمة في سورة الأنعام.

ما هي المقاييس التي نقيس بها المصداقية؟

من الأدبيات الشائعة في الكتابات الإعلامية حتى منتصف القرن العشرين قولهم: "أنك قد تخدع ٩٠% من الناس لمدة ٩٠% من الوقت، ولكنك لا تستطيع خداع كل الناس طول الوقت".

هذه المقولة الطريفة لم تعد صحيحة ولا صادقة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. والسبب هو تدفق الإعلام وعبوره الحواجز الجغرافية وتنوعه وتضاده وتصادمه. وقد عبر تقرير عالمي هو تقرير "ماكبرايد" عن الإعلام المعاصر بأن اتخذ التقرير عنوان "أصوات متعددة في عالم واحد".

ولما جاء العقد الأخير من القرن العشرين وجاءت معه السطوة الأمريكية وهيمنتها علي العالم أصبح الإعلام في ظلها صناعة سابقة التجهيز. وفرضت في حروبها في أفغانستان وفي حربها الثانية علي العراق حظراً فاق ما فرضته في حربها الأولى في فيتنام تفوقاً شاسعاً. وأخفقت وضللت وكذبت علي مواطنيها وعلي العالم أجمع بما جعل مصداقيتها في الحضيض. ولكن الأقسى للباحثين عن الحقيقة هو دفن الحقائق في قبور سحيقة.

وبرغم ذلك فإن أمانة العلم تفرض علينا أن نطرح السؤال الجوهري:

هل يستطيع البحث الإعلامي أن يضع مقاييس يسترشد بها المستقبل (القارئ والمشاهد والمستمع) لمعرفة مدى الصدق في الرسالة الإعلامية؟ إذا كان ذلك مستطاعاً فما هي المقاييس؟ أما المرسل فإن البحث الإعلامي في هذه الزاوية لا يستطيع أن يقدم له إلا عون التحذير، بمعنى أن البحث الإعلامي يقول للمرسل دائماً عليك بالصدق في رسالتك الإعلامية. ولكن هذه الزاوية من البحث الإعلامي تقدم التحذير مقروناً بالدلائل علي عواقب عدم المصداقية في الرسالة الإعلامية.

المقاييس الأربعة الرئيسة:

نستطيع أن نحدد المنطلقات الأساس لدراسة المصداقية في الإعلام العربي بل وفي الإعلام بصفة عامة فيما يلي:

المقياس الأول هو:

بمعني أن وضوح اللغة في التعبير يعد عاملاً حاسماً في صدق الرسالة الإعلامية، وغموض اللغة في الرسالة الإعلامية يؤكد في معظم الأحيان عدم المصداقية.

المقياس الثاني هو:

بحيث تحجب النظرة الأحادية بقية الأبعاد، فتصبح الواقعة أو القضية أو الظاهرة غير واضحة، بسبب غيبة بقية الأبعاد التي تجلي الواقعة أو القضية أو الظاهرة وتزيدها وضوحاً ومصداقية.

المقياس الثالث هو مقياس عدم المعرفة أو جزئية المعرفة:

ويرتبط هذا المقياس بجهل القائم بالاتصال وعدم معرفته المعرفة العامة، أو عدم

معرفته للموضوع الذي يكتب عنه حتى ولو كان خبراً صغيراً، أو الجهل المهني.

المقياس الرابع هو مقياس التزوير:

وهذا المقياس يمثل جانب الجريمة المباشرة في المنطلقات الأساس لدراسة المصداقية في إعلام أي مجتمع من المجتمعات، وفي أي نوع من أنواع الإعلام.

هذه المنطلقات أو المقاييس نتناولها بشيء من الدراسة علي النحو التالي:

المقياس اللغوي:

ويتمثل هذا المقياس في زاويتين رئيستين هما: الاستعمال الخاطئ، ثم غيبة الديمقراطية عن اللغة.

في الزاوية الأولى لاحظ علماء اللغة وغيرهم من الباحثين الإعلاميين والاجتماعيين أن الاستعمال الخاطئ، للغة سواء كان داخل وسائل الإعلام أو خارجها يفسد الفكر الوطني، ويعطل من قدرات الناس الذهنية.

يحدثنا د. عثمان أمين[١٥٤] عن أخطار اللغة، وكأنه يحدثنا عن أخطار الإعلام في الفكر القومي والرأي العام في الوقت نفسه، فيذكر من أخطار اللغة:

استعمالنا إياها استعمالاً لا إرادياً "كليشيهياً" دون يقظة أو وعي. فقد يقع للكثيرين من الناس الوهم بأنهم يفكرون حين يتكلمون أو يكتبون، في حين أنهم يتشدقون بألفاظ ويسودون صفحات. وكم من مرة نبه النقاد والمفكرون إلي الأخطار الجسيمة التي تتمخض عن انتشار الشقشقات اللفظية، وشيوع النزعات الببغاوية. ومن الأخطار الآلية أن نفكر بأفكار لغيرنا، حفظناها دون أن نعيها وعياً واضحاً، أو أفكار بليت ورثت وتخلفت عن روح العصر، أو أفكار يكتنفها الغموض والإبهام، وإن توهمنا أنها واضحة بحكم الإلف والعادة المألوفة التي تضفي عليها عادتنا اللغوية بداهة ظاهرية. اللغة عرضة لأن تشل حركة الفكر وتعوقه عن التوثب؛ لأنها تجسد ما يستعصي عن التجسيد. علينا ألا نجعل من اللغة العقبة في سبيل الفكر.

---

(١٥٤) د. عثمان أمين – في اللغة والفكر – معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة ١٩٦٧ ص ٥٣، ص ٥٤.

لاشك أن المقياس الثاني أصبح واضحاً بسبب حدة وتنافر الأيدلوجيات المعاصرة. ولا شك أن المقياس الثالث وهو الجهل يفضح نفسه ولكنه خطير؛ لأن متلقى الرسالة قد يكون أكثر جهلاً.

يبقى مقياس التزوير لبعض التفاصيل.

مقياس التزوير

يرتبط بهذا المقياس تحريف الرسالة الإعلامية، والإعلانات التحريرية، والرقابة، وإخفاء جوانب من الخبر، وصرف الانتباه، وما إلي ذلك مما يمكن إجماله في الدرجات المتفاوتة من التزوير.

ويمكننا أن نتخيل مجالاً يبدأ من رقم واحد إلي رقم عشرة يمثل مقياس التزوير. يبدأ من إغفال عنصر من الخبر وينتهي بالاختلاق والكذب الصريح. ولعل بيت الشعر المشهور للشاعر شوقي:

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

لعل هذا البيت يصور المراحل وتسلسلها. فإذا استعرنا أسلوب شوقي في تطور الغرام وطبقناه علي التزوير الإعلامي لأمكننا تجسيد هذا المقياس من مقاييس الحكم علي المصداقية في الإعلام.

وفي السينما الأمريكية يختلط الفن السابع (كما يطلق النقاد علي فن السينما) بالإعلان اختلاطا كاملاً حتى يصبح المنتج السينمائي مركباً من عنصري تجارة الفن وتجارة البضائع. تقول الصحفية نادية خليفة[١٥٥] المحررة بمجلة صباح الخير القاهرية: اعتادت هوليود دائماً خلق الباطل الجديد وتحويله إلي نموذج لا يتحكم فقط في عقول وجيوب الشباب ولكنه يسيطر علي سلوكهم وحركاتهم وتصرفاتهم وثيابهم.

وهي تتفق علي تحويل البطل إلي نموذج أربعة أضعاف ما تنفقه علي الفيلم نفسه. وتضرب مثلاً لتحويل الممثل ترافولتا إلي نجم يقلده الشباب فقد تكلف ذلك

---

(١٥٥) نادية خليفة – المراهقون قادمون – مجلة صباح الخير بتاريخ ٢٢-٧-٢٠٠٣.

مليوني دولار. أما الفيلم "جريس" الذي سبب شهرته فتكلفته ربع مليون دولار. ولكن الربح الأكبر فكان في البنطلون الأسود الضيق و"الجاكيت" البيضاء الملقاة بإهمال علي الكتف. لقد تحول النموذج إلي سوق رائجة لهذه البضائع نظراً لكثرة إقبال الشباب عليها.

وتقول نادية خليفة: إن دراسة لباحثة تدعى "إليسا كو آرت" عنوانها بيع وشراء المراهقين أثبتت أن المراهقين الأمريكيين أنفقوا مائة وخمسة وخمسين بليون دولار من الدخل العام سنة ٢٠٠٢ علي شراء ملابس ومساحيق تجميل وشرائط فيديو وأغاني بسبب المراهقين العشرين الذين قدمتهم هوليود في أفلامها نجوماً لفتيات وفتية تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والتاسعة عشرة. وغزا هؤلاء مجالي الإعلانات وعروض الأزياء.

والمشكلة الرئيسية التي تواجه القائمين علي تزوير الرسائل الإعلامية في مختلف المجتمعات أن الحقيقة الإعلامية يصعب طمسها، وأن تعبير القرية الإعلامية علي الكرة الأرضية يؤكد حقيقة إعلامية معاصرة، هذا من جانب ولكن من جانب آخر أصبح طمس الحقيقة وتزوير الإعلام جزءاً من السياسة الأمريكية في عملياتها العسكرية وفي خطوات الهيمنة والسيطرة علي العالم. وفي علاقتها بإسرائيل.

برغم هذه التناقضات يظل ميزان الفهم الإعلامي والبصيرة الثقافية ممسكة بالميزان قابضة عليه تجسيداً واستعارة من ميزان العدالة المشهور.

بهذه القواعد الرئيسة يمكننا أن ننطلق لقياس المصداقية في الإعلام العربي. تلك المصداقية التي تشبه الروح إذا خرجت من الجسم فقد الجسم مباشرة مبررات وجوده. وإذا خرجت المصداقية من الرسالة الإعلامية أصبحت الكلمة المكتوبة مثل ورقة الشجر الذابلة الساقطة وأصبحت الكلمة المسموعة أو المرئية أشبه بالنباح المقلق البغيض.

وفي النقطة الثانية وهي معرفة الخلفية الثقافية للواقع الاجتماعي الذي نخاطبه، لابد أن نلم برؤية الآخر الثقافية والعقدية لنا باعتبارنا مسلمين. وأشهر الكتابات في هذا الشأن هو رؤية أوروبا الثقافية منذ الحروب الصليبية إلي كتابات المستشرقين القديمة والحديثة، ثم العداء الصهيوني للإسلام، وبروز المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة

الأمريكية حديثاً. هذه الروافد وغيرها لابد من القائمين بالدعوة أن يتعمقوا في فهمها ودراسة مدى تأثيرها علي النخب الثقافية والسياسية. وعلي عامة الجماهير في بلدانهم.

وإذا كانت دراسة الآخر كثيرة من البر الغربي إلا أن القليل أو النادر في المكتبة العربية عن رؤية البوذية للإسلام مثلاً فما يزال البر الشرقي لا يلقي منا ما يجب من الدراسة في هذا الشأن.

ولقد كشف الكاتب والأستاذ في هارفرد الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية الدكتور ادوارد سعيد قبل وفاته منذ بضع سنين في عدة كتب العلاقة الحديثة بين عالم الإسلام والعرب والشرق من جهة، والغرب وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية من الجهة الأخرى. ومن حسن الحظ أن كتب الدكتور ادوارد سعيد تمت ترجمتها إلي العربية قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١م. وهي في جملتها تعين الإنسان العربي علي فهم البر الغربي الذي نريد أن نتوجه إليه بخطاب الدعوة الإسلامية وبالإعلام.

ويحدد الدكتور ادوارد سعيد مصطلح الإسلام كما يستخدم في الغرب المعاصر بأنه يدل على أنه شأن واحد بسيط. وهذا التعريف الغربي المعاصر زاخر بالمغالطات. وأن رجال الإعلام الأمريكيين يستخدمون مصطلح الإسلام بصورة سلبية بعيدة عن الموضوعية ولقد زودت هذه التغطية- في رأي ادوارد سعيد – مستهلكي الأخبار في الغرب بالشعور بأنهم يفهمون الإسلام دون أن تشعرهم، في الوقت نفسه، بأن القسط الأوفر من التغطية الإعلامية الغربية النشيطة إنما تقوم علي مادة هي أبعد ما تكون عن الموضوعية. وأن ذلك التسطيح السلبي لمفهوم الإسلام انتقل من دوائر الإعلام إلي دوائر البحوث والمراكز الاستراتيجية.

وفي صيف ٢٠٠٤م كشفت استطلاعات الرأي في الولايات المتحدة الأمريكية أن ٥٤ % من الشعب الأمريكي لا يزال يعتقد أن بالعراق أسلحة دمار شامل، برغم سقوط النظام العراقي، واحتلال العراق، وفشل جميع الأجهزة الأمريكية والدولية في العثور علي أية أسلحة دمار شامل.

يعلق د. سعيد اللاوندي [١٥٦] قائلا: " ماذا تعني هذه النتيجة؟ تعني – بلا شك – أن الأكاذيب التي روجتها الإدارة الأمريكية لتبرير موقفها من احتلال العراق لا تزال جاثمة في رؤوس الأمريكيين. وفي كل مرة تجد واشنطن نفسها في مأزق بشأن أكذوبة تهرع لاختراع أكذوبة أخرى. والأكذوبة التي تروج لها واشنطن هي أن هناك متسللين عربا جاءوا من الحدود العراقية السورية وينتمون إلي تنظيم القاعدة، وهم الذين يقودون هذا التراع المسلح مع قوات الاحتلال... وليس من شك في أن هذا الإدعاء ظالم لشعب العراق، ومناف للحقيقة في آن واحد.. فالشعب العراقي ليس في حاجة إلي من يقوده للنضال دفاعا عن أرضه وعرضه.. فهو سليل حضارة تضرب بجذورها عبر آلاف السنين، ومن السذاجة – كما قال الرئيس الفرنسي جاك شيراك يوماً – إسقاط هذه الجذور التاريخية العريقة عند التعامل مع شعب الرافدين.

والمحقق أن العراقيين يعرفون جيداً أن الأمريكان جاءوا لكي يبقوا، وبالتالي فإن شرارة المقاومة الباسلة لن تنطفئ مهما تكون ضراوة الهجوم الذي تشنه قوات الاحتلال على الآمنين العراقيين في بيوتهم أو في مساجدهم.

أكذوبة أخرى روجتها واشنطن تستند إلي الاعتداءات التي وقعت علي خمس كنائس في بغداد، ومفادها أن المسيحيين يتهددهم الخطر ومن ثم فهم يحتاجون إلي حماية أمريكية.

وهي أكذوبة لا تنطلي على طفل؛ لأن إشاعة الفوضى وعدم الأمان في العراق هي سياسة أمريكية تريد منها إثبات أن الوجود الأمريكي (الاحتلال) بات حيويا؛ لأن الانسحاب سيكون – في هذه الحالة – معناه اندلاع حرب أهلية في العراق ليس فقط بين السنة والشيعة، ولكن أيضا بين المسيحيين والمسلمين.

بكلمة أخرى: إن أمريكا أرسلت بقواتها (ربع مليون جندي) ليس لإسقاط نظام صدام حسين، وإنما لاحتلال العراق، والبقاء فيه إلي أطول مدة ممكنة.. وكل ما يروج حول صلة القاعدة بالعراق أو وقوع أحداث عنف وقتل، ليس إلا من قبيل ذر الرماد في العيون، حتى لا ندري الحقيقة كما هي.

---

(١٥٦) د. سعيد اللاوندي – المشهد العراقي – في البدء كانت الكذبة – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤–٨–٢٠٠٤م

فأمريكا تستهلك ٣٠% من إنتاج الطاقة العالمي وبعد ربع قرن سوف تستهلك أكثر من ٧٠% وبالتالي فإن السيطرة علي ثاني مخزون نفطي في العالم يصبح هدفاً وغاية في ذات الوقت وهو ما حدث بالفعل.

ومن ثم، فأي حديث عن رسالة ليبرالية لأمريكا في العراق، والمنطقة هو، حديث كاذب، فواشنطن ترى أن القرن الحادي والعشرين يجب أن يكون أمريكيا قحا.. وفرض الهيمنة علي مصادر القوة هو الخطوة الأولى في طريق الألف ميل الذي يفتح شهية أمريكا نحو السيطرة علي المنطقة عبر أداتين: الأولى اقتصادية وهي العولمة، والثانية سياسية وهي مشروع الشرق الأوسط الكبير ".

يقول الكاتب الصحفي إبراهيم نافع في كتابه (جنون الخطر الأخضر) وحملة تشويه الإسلام[١٥٧]: "تعرض الإسلام والمسلمون لحملة مغرضة وشرسة منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ووسط هذه الحملة ضاعت الحقيقة بين صفوف الرأي العام الغربي، وغاب الحوار، خاصة بعد أن وجد المسلمون أنفسهم تحت حصار الأقلام الغربية المتطرفة ودبابات الاحتلال الأجنبي في أفغانستان والعراق وفلسطين، والواقع أن ما يتعرض له المسلمون اليوم من محاولات للتهميش والإقصاء ليس جديداً، فقد سبقته محاولات أخرى في الماضي البعيد منيت بالفشل. فالمعروف أنه ما إن استقرت أركان الإمبراطورية الإسلامية حتى تعرضت للأخطار والابتلاءات، وكان أبرزها ثلاث محاولات كبرى لإخراج الأمة من التاريخ والجغرافيا أيضا والقضاء عليه حضارة وعقيدة، ولكنها انتهت بذهاب المعتدين إلي ما وراء التاريخ.. ذاب التتار وانهارت دولتهم الغاشمة.. وبعد فترة كمون واجه المسلمون حروب الإفناء الصليبية بجيوشها الجرارة متعددة الألوية والرايات فأخرجتهم الأمة من أراضيها وحررت القدس، ومزقتهم في دويلاتهم أزماناً، وخلال مرحلة الاستعمار الحديث تمكنت الأمة من إنهاك قواه واسترداد استقلالها وسيادتها وذلك في القرن الماضي. وها هي الأمة الإسلامية تتعرض للمحاولة الرابعة لإخراجها من التاريخ وهي المحاولة التي تزامنت مع الحرب علي أفغانستان ثم العراق، في إطار ما يسمى بالحرب ضد الإرهاب، والمزاعم الموجودة في الغرب ضمن ما ترديه الأقلام المتعصبة هناك

---

(١٥٧) إبراهيم نافع – جنون الخطر الأخضر – جريدة الأهرام بتاريخ ٣١-٨-٢٠٠٤م.

بالتحذير مما تسميه بجنون الخطر الأخضر.. هذه المحاولة الرابعة تستند إلي أربعة أسباب لإفناء الأمة، وتغيير مقاومتها اعتماداً علي السيطرة علي اقتصاديات المسلمين وتركيز القيادة في يد الولايات المتحدة (وريثة الاستعمار القديم) التي عمدت إلي تحويل النفط والموقع الجغرافي من نعمة لأصحابه إلي نقمة عليهم ".

ويقول الدكتور محمد عمارة[١٥٨]: " الحرب الثقافية والإعلامية التي شنها الغرب – بقيادة أمريكا – علي الإسلام، عقب قارعة سبتمبر تصعيداً لموقف تاريخي وإعلانا عن موقف قديم.. ولم تكن مفاجأة بأمر غير مسبوق ليس له تاريخ.

ولقد كان السعي إلي "علمنة الإسلام" وتحويله إلي "صيغة نصرانية" تقف عند العبادات والشعائر والوصايا الأخلاقية، تاركة شئون الدنيا والدولة والسياسة والاجتماع والاقتصاد للنموذج الغربي والقيم الغربية هو القاسم المشترك في كثير من التصريحات والكتابات التي طفحت بها هذه الحرب الإعلامية الغربية ضد الإسلام وحضارته وثقافته ومناهج التعليم فيه.

* فالرئيس الأمريكي "جورج بوش الصغير" الذي أعلن حرباً عالمية قبل بدء التحقيقات في "قارعة سبتمبر"!! قد وصف هذه الحرب في ١٦ سبتمبر بأنها "حملة صليبية"، وذلك عندما وجه أصابع ـــ بل وصواريخ الاتهام ـــ إلي الإسلام المقاوم الاستعمار والصهيونية، واصما كل ألوان المقاومة الإسلامية، ومنظمات الجهاد الإسلامي، التي تسعى لتحقيق التحرر الوطني وحق تقرير المصير "بالإرهاب"!.. رغم أن هذه المنظمات جميعها تقاتل لتطبيق قرارات الشرعية الدولية!!..

* وفي ١٧ سبتمبر سنة ٢٠٠١م ـــ أي بعد ستة أيام من الأحداث ـــ وصف توني بلير رئيس وزراء انجلترا هذه الحرب بأنها " حرب المدنية والحضارة في الغرب ضد البربرية في الشرق "!!..

* وفي ٢٦ سبتمبر سنة ٢٠٠١م أعلن سيلفيو بيرلسكوني رئيس وزراء إيطاليا أن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية ولابد من انتصار الحضارة الغربية على

---

(١٥٨) د. محمد عمارة – نظرات في الهجمة الأمريكية على الإسلام – جريدة الأخبار بتاريخ ١٢-٩-٢٠٠٣م.

الإسلام الذي يجب أن يهزم لأنه لا يعرف الحرية ولا التعددية ولا حقوق الإنسان.. وأن الغرب سيواصل تعميم حضارته وفرض نفسه علي الشعوب.. وأن الغرب قد نجح حتى الآن في تعميم حضارته وفرض نفسه علي العالم الشيوعي وقسم من العالم الإسلامي.

* وفي ٨ نوفمبر سنة ٢٠٠١م حدد الرئيس بوش الصغير أن الحضارة الغربية — التي أعلن الحرب للدفاع عنها — هي حضارة اليهود والمسيحيين وأن هناك في الجانب الإسلامي من "يحرض علي قتل اليهود والمسيحيين" ولذلك حمل الرئيس بوش ملكا عربيا هو ملك الأردن "رسالة تحذير موجهة إلي عدد من الحكام العرب تطالب بضرورة أن يتوقف الإعلام في بلادهم عن حملة الكراهية لأمريكا وإسرائيل "!.

ووجدنا أحد أقباط المهجر في أمريكا والمشرف علي ملحق المهجر في صحيفة وطني القبطية — مجدي خليل — يهاجم البرنامج التليفزيوني المصري رئيس التحرير الذي يقدمه الإعلامي القدير الأستاذ حمدي قنديل واصفا هذا البرنامج بأن أكثر ما فيه دعائي تحريضي يحض علي الكراهية خاصة تجاه أمريكا وإسرائيل.

ثم توالت التصريحات غير المسئولة من المسئولين الغربيين ذوى التأثير في صناعة القرار الغربي فوجدنا الآتي: ليبرمان وأشكروفت وأولبرايت:

* السيناتور الديمقراطي الأمريكي جوزيف ليبرمان الذي كان مرشحا لمنصب نائب الرئيس في الانتخابات الرئاسية الأمريكية السابقة ومرشح الرئاسة القادمة يعلن أنه لا حل مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليها أمريكا القيم والنظم والسياسات التي تراها ضرورة فالشعارات التي أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية بل تتعداها إلي الدول الأخرى.

* أما وزير العدل الأمريكي جون أشكروفت فلا يكتفي بالحديث عن حرب الحضارة ضد البربرية والخير ضد الشر والمدنية ضد التخلف وإنما يذهب ليتفوق علي غلاة المنصرين عندما يسب إله العالمين الذي يؤمن به مليار ونصف مليار من المسلمين فيقول وزير العدل هذا: "إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل الإله ".

وفي نوفمبر سنة ٢٠٠١م يكتب الصحفي اليهودي الأمريكي القريب من دوائر

صنع القرار توماس فريدمان فيقول: إن الحرب الحقيقية هي ضد الفكر الإسلامي والتربية والتعليم الإسلاميين وبنص عبارات مقاله الذي كتبه من بيشاور "إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس، ولذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية ضد ابن لادن بسرعة ونخرج.. وعندما نعود من أفغانستان يجب أن نكون مسلحين بالكتب الحديثة لا الدبابات.. فقط عندما تنمو تربة جديدة، وجيل جديد يقبل سياساتنا كما يحب شطائرنا وإلي أن يحدث هذا لن نجد أصدقاء لنا هنا".

ثم يكتب هذا الصهيوني الأمريكي مهدداً المدارس الإسلامية التي تعترف مناهجها الدينية بكل النبوات والرسالات والشرائع وتقول حتى للمشركين "لكم دينكم ولي دين" يكتب في معرض التهديد للمملكة العربية السعودية في مقال صاغه في شكل رسالة من الرئيس جورج دبليو بوش إلي الشيخ صالح الشيخ وزير الشئون الإسلامية في المملكة العربية السعودية، يكتب توماس فريدمان فيقول "إن مشكلتكم مع الشعب الأمريكي أن مدارسكم والألوف من المدارس الإسلامية التي تمولها حكومتكم وجمعياتكم الخيرية في مختلف أنحاء العالم تدرس أن غير المسلمين أدنى من المسلمين".

ثم يطلب صياغة إسلام معتدل فيقول: "نريدكم أن تفسروا الإسلام علي نحو يقدس التسامح الديني وإذا تعذر عليكم أن تفعلوا هذا واجهتم مشكلة، وباتت المملكة العربية السعودية في حربنا علي الإرهاب كما كان الاتحاد السوفيتي في حربنا علي الشيوعية.

هذه النماذج تمدنا بتصور للخلفية الثقافية التي تعيشها المجتمعات التي نريد مخاطبتها إسلامياً. وهي ضرورة لا ينبغي أن تسدى إلينا اليأس أو الأمل.

وفى النقطة الثالثة والمتمثلة في ربط الفروع بالأصول لإقامة هيكل معرفي ومنطقي للواقع الذي نريد مخاطبته، نقرأ شهادة الشهود لندرك أخبار نماذج من المجتمعات الإسلامية، ونستطيع الربط الذي لا يجعل مفرداتها غير منطقية.

يكتب مندوب الأهرام (١٥٩) فى روما عن الإسلام والمسلمين فى إيطاليا فيقول:

---

(١٥٩) مصطفى محمود عبد الله – الإسلام والمسلمون فى إيطاليا – جريدة الأهرام بتاريخ ١٩-٦-٢٠٠٤م

" ينقسم المسلمون الإيطاليون إلى نوعيات مختلفة، فمنهم من اعتنق الإسلام لدواعى الزواج من مواطنة مسلمة أو عربية تحديداً، ومنهم من اعتنقه إيمانا بمبادئه، وآخرون يجدون فى الله سبحانه وتعالى ملاذا يختلف عن "الرب" الغربى، وهناك من ينتمى إلى الأوساط اليسارية المتطرفة ويميل إلى الإسلام الثورى السنى للإخوان المسلمين، بينما يفضل اليمينيون الإسلام الصوفى أو الخمينى الشيعى، فضلا عن مجموعات من الفاشيين السابقين يجدون فى القرآن الكريم تأكيداً لعدائهم لليهود".

وإذا أضفنا إلى ذلك أكثر من ٥٠ ألف مهاجر مسلم يحملون الجنسية الإيطالية، تتسع أطياف الإسلام فى إيطاليا لتضم مسلمين أصوليين، ولكنها تبقى بسيطة ومحدودة إذا ما قورنت بكم النزاعات والتقاليد الدينية والسياسية التى تكمن فى المليون مسلم الموجودين فى إيطاليا حاليا من بينهم أقلية متدينة تتراوح نسبتهم بين ٥ و١٠% وكذلك نسبة أكثر ضآلة تمثلها التنظيمات الإسلامية الموجودة فى إيطاليا.

ومع ذلك عندما حاول البعض توحيد هذه التنظيمات أو إقامة اتحاد فيدرالى بينها تحت مسمى "مجلس مسلمى إيطاليا " الذى كان من المقرر أن يتفاوض مع الدولة الإيطالية على ثمة اتفاقية على غرار الاتفاقيات الموقعة مع الكنيسة الكاثوليكية والجاليات اليهودية والبروتستانتية والبوذية ليس فقط من أجل الحصول على التمويل أو التبرعات التى تتمثل فى نسبة خصم من الضرائب وإنما أيضا للحصول على الوضعية القانونية، وهى جهود فشلت بالكامل إذ لم ينجح المركز الإسلامى الثقافى فى روما إلا فى التوصل إلى اتفاق غريب مع اتحاد الجاليات الإسلامية فى إيطاليا، يمكن القول إنه جمع بين المحافظين ومناهضى العولمة. ومن ناحية أخرى يسعى وزير الداخلية جوسيبى بيزانو منذ وقت طويل لتشكيل مجلس استشارى من مسلمى إيطاليا على أن يكون معتدلا وممثلا لجميع المسلمين وهى معادلة صعبة، فهناك جانب كبير من المسلمين فى إيطاليا شأنهم كشأن اليساريين متعاطفون مع المقاومة العراقية والمقاومة الفلسطينية. وعلى الرغم من أن القائمة جاهزة تقريبا، إلا أن وزير الداخلية بيزانو أرجأ تدشين هذا المجلس الاستشارى إلى ما بعد الانتخابات الأوروبية والمحلية فى إيطاليا حيث يخشى حزب بيرلسكونى "فورسا إيطاليا" أن يهدى لرابطة الشمال جزءا من ناخبيه الرافضين للمشروع برمته.

ولنفس السبب وتحت ضغوط ومخاوف الرابطة أبقت الحكومة الإيطالية على القانون الذى يسمح بحرية العقيدة داخل أدراج البرلمان، وهو القانون الذى كان سيمنح البلديات والأقاليم صلاحية الاتفاق مع الجاليات المحلية لحل مختلف المشاكل العملية لهذه الجاليات، وكذلك إمكانية إقامة أكاديمية لاهوتية لتكوين وتأهيل أئمة المساجد من أجل الحيلولة دون تقوقع الجالية الإسلامية فى "جيتو" مغلق مثل اليهود يرفض مبادئ دولة الحقوق الليبرالية، ولكن المشروع تم تجاهله تماما نظراً لأن رابطة الشمال والقس دون باجيت يوتسو مستشار بيرلسكونى للشئون الدينية إلى جانب قطاعات كبيرة من الأغلبية الحاكمة لا تريد هذا القانون وربما يعاد فتح هذا الموضوع مرة ثانية فى الدورة التشريعية القادمة.

ومع ذلك، يمكن تلبية أو الوفاء بأهم احتياجات الجاليات الإسلامية بدون جلبة أو نفقات مبالغ فيها.

وهناك ظاهرة أخرى أثارها الكاتب جويدو رامبولدى فى صحيفة، لاريبوبليكا، تتمثل فى أن الإسلام فى إيطاليا يبدو عدوانياً ويثير الخوف، ولو كان مهاجرو إيطاليا من الطبقة البرجوازية فى مصر أو باكستان أو لبنان أو السنغال أو نيجيريا وبنجلاديش لبدا الإسلام دينا متحررا وغير مقيد، ولكن المهاجرين القادمين إلى إيطاليا من الفقراء القادمين من مجتمعات ريفية يحاولون فى الغالب أن يعيدوا تكوين هذه المجتمعات المنغلقة عليهم فى إيطاليا مثلما فعل اليهود فى كل دول العالم، والإيطاليون فى الهجرات الأولى إلى الأمريكتين ويفعل الصينيون الآن.

ويضيف رامبولدى إن الإيطاليين يتجاهلون المسلمين المعتدلين ولكن عندما يرون المسلمين العدوانيين يعتبرون كل المسلمين مثلهم، أو يعتبرون هذه الجاليات جالية واحدة وأن الإسلام واحد، ويرتكبون فى ذلك خطأ الأمريكيين الذين يعتبرون لدوافع عنصرية أن الأمريكيين الآخرين من أصل أفروأمريكى منحرفون بالغريزة.

ولكن هل لهذا الخطأ فى المنظور تلتبس علينا الأمور؟ على أية حال ليست إيطاليا الوحيدة التى تعانى تشتت الأفكار، ففى فرنسا دافع عن قرار حظر الحجاب فى المدارس من يريد تفادى "صراع الحضارات" ومن يرفضه أيضا، وهكذا فى إيطاليا أيضا حيث

تباينت مواقف القوى السياسية إزاء فكره نزع الصليب من المدارس التى لا تفتقر إلى سند قانونى، حيث عارضته رابطة الشمال والتنظيمات الإسلامية واليمين بأكمله وجانب كبير من اليسار، وقابلته باللامبالاة أو وافقت على نزع الصليب قطاعات ليبرالية من اليهود وشباب المسلمين، بينما فوجئ الكاثوليك بأن الصليب أصبح مجرد رمز عرقى، ويختلط الأمر حتى على القانون الجنائى الذى ينص على أنه إذا اتصل أحد المسلمين بإمام المسجد وطلب منه معرفة كيفية الذهاب إلى العراق للانضمام إلى صفوف المقاومة يتم إلقاء القبض عليه من جانب الشرطة بتهمة غير محتملة لأن القانون لا ينص على جريمة التواطؤ، فى حرب مقدسة... ومع ذلك فالقوانين الإيطالية موجودة ولكن يغفل أو بمعنى أدق غير معروف كيفية تطبيقها ولا غرو أن تقرر وزارة الداخلية طرد بعض الدعاة السلفيين الذين ينفثون كراهيتهم لليهود أو النساء لأنهم ينشرون أفكارا تقوم على التعالى أو الكراهية العنصرية والعرقية أو بتهمة التحريض على العنف لأسباب عنصرية عرقية قومية أو دينية كما فعلت من قبل وزارة الداخلية من خلال طرد ثلاثة من أئمة المساجد ومن بينهم إمام مسجد روما، وهى القوانين التى أكد كاستيللى وزير العدل ضرورة إعادة النظر فى تلك المواد التى يعتبرها غير ليبرالية، حيث إنها تطبق أيضا على من يثير الكراهية ضد المسلمين مثل صحف رابطة الشمال التى ينتمى إليها الوزير نفسه ومثل الديماجوجيين فى الشمال الشرقى المقربين من أوساط الأغلبية الحاكمة.

ومن الواضح أن كل هذه الظروف تدفع الإيطاليين إلى التفكير فى هويتهم وهو ما يجعلهم أكثر عصبية إزاء "المسألة الإسلامية" من خلال إثارة التساؤلات: هل الشعب الإيطالي قبيلة مسيحية؟ أم دولة حقوق ليبرالية أو مجموعة من المجتمعات المتوازية والحقوق الجماعية؟ وعليه فيجب على الجميع الإمعان والاهتمام بهذه التساؤلات وعلى رأسهم الجالية الإسلامية التى يجب عليها أن تتأمل فى داخلها، فإن أزمة الهوية التى تعانى منها أكثر حدة وصعوبة من أزمة الشعب الإيطالى.

إن إيطاليا على ضوء خبرتها الشابة مع الهجرة المسلمة أمامها فرصة كبيرة لتعزيز الاندماج والحوار والتبادل الثقافى والتعايش، وباستطاعتها أيضا أن تعمل بسياسات فعالة بدءا بإزالة اللبس وسوء الفهم والأنماط الثابتة والأحكام المسبقة التى لها تأثيرات خطيرة

ومن بينها على سبيل المثال ربط الإسلام بالمساجد واعتبار المساجد الممثل الوحيد للإسلام فى إيطاليا وهو منظور يمكن أن يعرقل عملية تكوين إسلام إيطالى وأوروبى، حيث ينبغى على إيطاليا أن تقيم علاقات مرنة تتيح مجالات أوسع للإسلام الأكثر اتساعا وانتشارا كما لابد على إيطاليا أن تعى وتفهم أن اندماج الإسلام لا يعنى التخلى عن الإيمان وممارسة الشعائر الدينية على الملأ، ولابد من السماح بهذه الشعائر بما يتوافق مع القواعد القضائية والاجتماعية الأوروبية حتى لا تؤدى هذه السياسة إلى تهميش المسلمين المتدينين ودفعهم إلى التطرف، ويجب أن نعلم أن من يشن الحرب على الحجاب -كما حدث أخيراً- يعمل عن قصد أو غير قصد من أجل زيادة الإرهاب وانتصار سادة الحرب."

هذا النموذج الذي يرصده مندوب الأهرام في روما يمثل للقائمين بالدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي عبرة؛ لأن كل مجتمع يحتاج إلى حكمة وبصيرة في الخطاب الإسلامي الموجه إليه.

مثال آخر مختلف نلقاه فى اليابان، ففي أواخر عام ٢٠٠٣ تم افتتاح مركز لدراسات الشريعة الإسلامية في جامعة " تاكو شوكو " ويرصد مندوب الأهرام هذا الحدث ويجرى حديثا صحفيا مع مدير المركز فيقول:

"لعلها المرة الأولى، التي يجرى فيها افتتاح ندوة جامعية، فى اليابان بتلاوة آيات بينات من القرآن الكريم، أمام حشد كبير ضم المئات من الأكاديميين والمثقفين والمهتمين بشئون الشرق الأوسط وشئون العالم الإسلامي، بالإضافة إلى حشد كبير من رجال الإعلام والأعمال، جاءوا جميعا إلى رحاب جامعة " تاكو شوكو" في قلب العاصمة اليابانية، طوكيو، لحضور مراسم افتتاح "مركز دراسات الشريعة" كأول مركز من نوعه يهدف إلى إجراء بحوث شاملة عن الإسلام وعن الشريعة الإسلامية في اليابان.

"الأهرام" التقت مع مدير المركز الدكتور نور الدين موري، الذي قدم شرحاً وافياً عن تاريخ الدراسات الإسلامية في جامعة "تاكوشوكو " وقصة إنشاء المركز، على هامش الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس الجامعة، ونشاطات مركز دراسات الشريعة خلال المرحلة المقبلة في اليابان.

يقول الدكتور نور الدين موري: إن مركز دراسات الشريعة تأسس في ديسمبر من عام٢٠٠٣م، وتم افتتاحه منذ وقت قصير بغرض إجراء دراسات تتناول الأوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم الإسلامي.

وسيقوم المركز إلى جانب ذلك بترجمة ونشر تلك الدراسات، بالإضافة إلى عمل دراسات حول أمهات كتب الشريعة من أجل تنشيط حركة الوعي الإسلامي علاوة على تنظيم دراسات تحليلية للفتاوى الإسلامية.

ومن المنتظر أن يعقد المركز محاضرات وندوات إلى جانب إصدار نشرة تتضمن أهم الأبحاث والأنشطة والتقارير، وتضم لجنة دراسات الشريعة بالمركز نخبة من المتخصصين فى الشريعة الحاصلين على درجات علمية من دول إسلامية وجميعهم مؤهلون لتقديم المشورة فى الأمور المتعلقة بالشريعة، كما أنهم جديرون بتقديم وتوفير التدريب والإرشاد للطلاب المسلمين فى اليابان مع استعدادهم لتبادل الآراء مع المركز والهيئات الإسلامية الأخرى.

ومرجعية " مركز دراسات الشريعة " فى اليابان تستند إلى أعلى الهيئات الإسلامية فى العالم الإسلامى، وفى مقدمتها جامعة الأزهر، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية بالسعودية، ورابطة العالم الإسلامى، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة، والمجلس العالمى للأطعمة الحلال بأندونيسيا، والمعهد العربى الإسلامى بطوكيو، وجامعة مسلمى اليابان.

ويضيف مدير مركز دراسات الشريعة الإسلامية فى اليابان قائلا: يرجع تاريخ الدراسات الإسلامية فى جامعة "تاكو شوكو" إلى عام ١٩٠٠ ميلادية، حين تأسست الجامعة وكان الحاج "نور محمد" إبيه تاناكا، ثانى ياباني مسلم يؤدى فريضة الحج عام ١٩٢٤ من بين أول دفعة تخرجت من هذه الجامعة وقامت الجامعة منذ تأسيسها بجهود متواصلة فى إجراء البحوث وتبادل البرامج المتعلقة بالدراسات الإسلامية والعربية.

ويوضح الدكتور نور الدين مورى أن جامعة "تاكو شوكو" هى أول مؤسسة تعليمية عليا فى اليابان تقدم برنامجا لتعليم اللغة العربية، بدءا من عام ١٩٦٢، ولا تزال الجامعة تقوم بهذا الدور حتى اليوم بهدف تطوير الدراسات الإسلامية فى اليابان.

تخرج فى الجامعة عدد كبير من اليابانيين، الذين يمارسون أنشطة فى مختلف البلدان الإسلامية، وتضم هيئة التدريس فى مركز دراسات الشريعة بالجامعة متخصصين يابانيين مسلمين، تخرجوا فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة الأزهر بالقاهرة والجامعة القطرية.

وسوف يدعم هؤلاء المتخصصون الدراسة فى المركز بما نالوه من علم وخبرة فى أثناء دراساتهم بالدول الإسلامية، ويتطلع المركز لكى يصبح نبعا لا ينضب للدراسات الإسلامية والشرعية ويلعب دورا فاعلا فى القطاعات العامة والخاصة باليابان.

ويؤكد الدكتور نور الدين مورى أن هدف مركز دراسات الشريعة فى اليابان لن ينحصر فى المجال الأكاديمى فقط بل سيتعداه إلى نشر الفهم الصحيح عن الإسلام لدى الشعب الياباني، وحتى تتحقق هذه الغاية سيقوم المركز بتقديم خدمات استشارية للمؤسسات اليابانية التى تربطها علاقات تجارية مع البلدان الإسلامية كما سيتابع المركز إمداد المسلمين فى اليابان بالمعارف الشرعية الصحيحة مما يسهم فى خدمة المجتمع الإنساني.

وفى حفل الافتتاح الذى أقيم بجامعة "تاكوشوكو" تحدث رئيسها الدكتور"فوجيتو تاتسونوبو" مؤكداً عزمه إحاطة "مركز دراسات الشريعة" برعايته المباشرة من أجل إعلاء كلمة حق للإسلام الذى لم يوف حقه من المعرفة الصحيحة باليابان. أما كبير مستشارى جمعية مسلمى اليابان المستشار "عمر هاياشى" فقد ألقى كلمة باللغة اليابانية وأخرى باللغة العربية التى يجيدها تماما معربا عن عظيم سروره بتأسيس مركز دراسات الشريعة مؤكداً الدور الكبير الذى سيقوم به المركز لنشر الدعوة الإسلامية فى اليابان." (١٦٠)

هذا النموذج الإيجابى فى اليابان يفتح شهية القائمين بالدعوة الإسلامية لخطط ونوافذ جديدة.

---

(١٦٠) كمال جاب الله – هدف المركز نشر الفهم الصحيح للإسلام لدى الشعب الياباني – جريدة الأهرام بتاريخ ٦-١١-٢٠٠٣م.

نموذج ثالث لا يرتبط باختلاف المجتمعات ولكنه يـرتبط بـالظواهر الإجتماعيـة. هذا المثال يتمثل فى عدم فهم الظاهرة الإسلامية الحالية (عالميا بل ومحليا) فمنذ الربـع الأخير من القرن العشرين الميلادى برزت ظاهرة عودة جموع واسـعة مـن الجمـاهير الإسلامية إلى الذات، بعد ما يقرب من قرن من الاستعمار، وصبغ المجتمعات المستعمرة بالكثير من قيمه وعاداته وتقاليده. وفى مجال البحث العلمى لا يجوز التدليل بالانطباعات أو المشاهد الشخصية إلا ما جاء على سبيل الشاهد أو المثال.

فى صحيفة الأهرام الصادرة يوم السبت ٢٠٠٤/٤/٣ ميلادية الموافق ١٣ من صفر ١٤٢٥ هجرية يقول أنيس منصور (١٦١) فى عموده اليومى "مواقف" أنـه زار بلـده "المنصورة"، ويصف ماطرأ على بلدته من تطور ثم يقول عند زيارته لجامعـة المنـصورة بالحرف الواحد: "ولا أريد أن أذكر شيئا غريبا أدهشنى وأعجزنى عن التفكير، وهو أن ٩٩% من الفتيات الجميلات محجبات!"

وفى الصفحة الرابعة من صحيفة الأهرام فى اليوم نفسه نقرأ الخبر التالى بنصه:

"فرانكفورت – من مازن حسان: بدأت ولاية بادن فورتمبورج الألمانية العمل بقانون حظر ارتداء المدرسات المسلمات الحجاب فى المدارس الحكومية، بعد أن أقـر برلمـان الولاية أمس مشروع القانون بأغلبية ساحقة لتصبح بذلك أول ولاية ألمانية تطبق قانون حظر ارتداء الحجاب فى مدارسها فى حين تعكف العديد من الولايات الأخـرى علـى إعداد قوانين مماثلة.

وكان برلمان بادن فورتمبورج قد رفض مشروع قانون تقدم به حزب الخضر يـنص على اختصاص كل مدرسة بحظر التدريس بالحجاب أو السماح به للمدرسات المسلمات بعد التأكد من توجهات كل معلمة.

---

(١٦١) أنيس منصور علم من أعلام الصحافة العربية منذ العقد السادس من القرن العشرين. وهو فى تـاريخ مقاله هذا يخطو إلى الثمانين من عمره، وحصل فى مطلع شبابه على المركز الأول فى قـسم الفلـسفة بجامعة القاهرة وعين معيداً فيه ثم هجر الجامعة إلى الصحافة. وسطع نجمه فيها سطوعاً.

ووجه حزب الخضر انتقادات حادة لوزيرة التعليم بالولاية لدعمها هـذا القـانون ووصفه بأنه يعد انتهاكا للدستور الألماني؛ لأنه يمنع المدرسات المحجبات ولكنـه يـسمح للراهبات بارتداء غطاء الرأس داخل الفصل الدراسي".

وخلاصة القول إن ربط الفروع بالأصول يشبه الغزل المتشابك. وعلينا أن نجعل هذا الغزل سلسا ومتماسكا فى خطابنا للدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامى.

وفى النقطة الرابعة والمتمثلة فى ملاحقة التطورات فى الخرائط الـسياسية والثقافيـة والعسكرية ينبغى على القائم بالدعوة الإسلامية وبالإعلام الإسلامى أن يـدرك طبيعـة التغيرات المتلاحقة محليا وقوميا وعالمياً. تلك التغيرات المتسارعة لابد أن تقابلها أساليب جديدة ومبتكرة وواعية فى مجال الدعوة.

يكشف الكاتب الصحفى عبده مباشر (١٦٢) جذور العداء الغربى للإسلام فيقول:

"على امتداد القرون والعقود والسنوات الماضية ارتفعت أصوات فريق مـن أهـل الغرب للدفاع عن الإسلام والمسلمين، وهذا الفريق مـن أهـل العلـم والموضـوعية والإنصاف ضم الآلاف من المستشرقين وعددا كبيرا من الغربيين الذين أسلموا وعـددا أقل من المتعاطفين وإن احتفظوا بديانتهم.

وكل هؤلاء بكل الكتب والبحوث والدراسات والمقالات التى كتبوها والمحاضرات التى ألقوها لم يتمكنوا أبدا من تغيير مسار التيار العام الذى يتفجر بالكراهية للإسـلام والمسلمين، وهذه الكراهية الممزوجة بالعداء والاستعلاء لها أسبابها التاريخية والدينية. وإذا كان أهل الغرب يتحملون نصيبا وافرا من المسئولية عن هذا الموقف، فإن لأهل العـالمين العربى والإسلامى نصيبا لا بأس به فيما جرى ويجرى. وإذا ما حاولنـا البحـث عـن الأسباب التاريخية فإنه يمكننا اكتشاف جذورها الأولى عند بدء تمدد دولة المدينة (يثرب) الإسلامية والخروج بالدعوة من شبه الجزيرة العربيـة إلى العـالم الخـارجى، وبالتـالى الاصطدام بالإمبراطوريتين الفارسية والرومانية الـشرقية. وعنـدما تمكنـت الجيـوش

---

(١٦٢) عبده مباشر – المسلمون وأوروبا وألف عام من الحروب – جريـدة الأهـرام بتـاريخ ٢٧-٦-٢٠٠٤م.

الإسلامية من فتح بلاد الشام ومصر واقتطاعهما من الإمبراطورية الرومانية، كان ذلك بمثابة نقطة البداية التى انتهت بالاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) أى أن المسلمين منذ لحظة الخروج من شبه الجزيرة العربية، وحتى لحظة استيلاء الجيوش العثمانية على هذه العاصمة التاريخية، قد تمكنوا من القضاء على امبراطورية من الامبراطوريتين المسيحيتين. ولم يكتف المسلمون بذلك، بل زحفوا من شمال أفريقيا إلى شبه جزيرة ايبيريا واستولوا على الأندلس، ثم حاولوا اجتياز جبال البرانس، ولكن شارل مارتل أوقف هذا الزحف فى معركة بواتييه التى يسميها العرب بلاط الشهداء لكثرة ما سقط بها من شهداء.

ولكن هذا التوقف ــ لم يكن يعنى نهاية المخاوف المسيحية، فإذا كان الزحف أو المد الإسلامى قد توقف من ناحية الجنوب بانهيار الدولة الإسلامية فى الأندلس عام١٤٩٢، فإنه تجدد من الشرق حيث اكتسحت الجيوش العثمانية دول البلقان ودقت أبواب فيينا عاصمة إمبراطورية النمسا والمجر وواصلت قوات الإمبراطورية العثمانية محاولات اقتحام المدينة، ولكن بالرغم من استمرار عمليات الحصار وكثرة محاولات الاختراق فإنها لم تتمكن من دخول فيينا. ولكن المخاوف والفزع الذى عاشته الإمبراطورية وأهلها كان قويا وعميقا ومؤثراً. وإذا ما عرفنا أن القوات الإسلامية التى فتحت الأندلس قد انطلقت شمالا وشرقا حتى بعد الهزيمة فى موقعة بلاط الشهداء وتمكنت من الاستيلاء على قطاعات من الشواطئ الجنوبية للقارة الأوروبية. كما نجحت مجموعة من مواصلة التقدم شمالا حتى وصلت إلى سويسرا. فإن هذا النجاح لم يجد الدعم من جانب القوات التى استقرت فى الأندلس، لذا سرعان ما انحسر هذا المد. وفى بدايات التمدد الإسلامى وإنشاء أول قوة بحرية إسلامية برعاية والى مصر عبد الله بن أبى السرح وانتصار هذه القوة فى أولى معاركها على القوات البحرية للإمبراطورية الرومانية ذات الخبرة والتاريخ، بدأت عمليات السيطرة على جزر شرق البحر الأبيض المتوسط. مثل هذا الانتشار الإسلامى بكل ما حفل به من انتصارات شكل خطراً هائلا ومستمرا على القوى الأوروبية المسيحية وأسهم فى توليد مجموعة متوالية من الصدمات المؤثرة والمفزعة التى أثرت بقوة فى وعى الأوروبيين. وكان منطقيا أن تنبت الكراهية وتثمر ثمارها المرة مبكراً.

ولكن هذه الثمار كانت مجرد بداية أو فلنقل الأساس الذى بنيت عليه فكرة الحروب الصليبية. وقد أطلق هذه الفكرة وحولها إلى واقع أوربان الثانى بابا الكنيسة الكاثوليكية عام ١٠٩٥ من مدينة كلير مونت. وبقوة الكراهية وتحت تأثير المخاوف والرغبة فى الثأر، واصل الرجل دعوته لقتال "المحمديين" تحت راية الصليب لتحرير الأرض التى شهدت مولد يسوع (عيسى عليه السلام) وبعثه بالديانة المسيحية من أيدى البرابرة الوثنيين ووصف "المحمديين" يعنى أنهم أنصار محمد، أى أنهم أنصار رجل وليسوا أصحاب رسالة أو أهل دين سماوى؛ لأنهم لو قالوا بذلك لكان اعترافا منهم بالإسلام وببعث النبى محمد برسالة من الخالق. وباستخدام وصف " المحمديين" حولوا الأمر إلى مجرد رجل من حوله بعض الأتباع وأنه ومن معه قاموا باحتلال وتدنيس الأراضى المقدسة. والحملات الصليبية التى بدأت عام ١٠٩٦ استمرت حتى القرن الخامس عشر. وطوال هذه القرون نشطت الكنيسة وباقى المؤسسات القائمة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين. وقد شارك فى هذه الحملات المنظمة والمكثفة والمتصلة فلاسفة وشعراء وكتاب ومفكرون وتجار وقادة وملوك وأمراء وفرسان واقطاعيون. وتحولت هذه الحملات إلى دراسات ومؤلفات ودواوين شعر، ثم أصبحت جزءا ومكونا رئيسيا بالمناهج الدراسية بالمدارس والمعاهد والجامعات. وبالرغم من إنتهاء الحروب الصليبية فإن هذه المناهج الدراسية بكل ما بها من تشويه للإسلام والمسيحية مازالت موجودة فى معظم المدارس والجامعات حتى الآن، ومازالت تملأ آلاف الكتب والمؤلفات وتنعكس على الأعمال السينمائية والتليفزيونية فى مختلف الدول الأوروبية. ولم يكن من المتوقع أن يمضى الأمر بصورة مختلفة، فالقوات المتوجهة للقتال فى حاجة إلى بناء فكرى ومعنوى يتفق والهدف من الحملات العسكرية. فإذا كانوا فى طريقهم لتحرير الأراضى المقدسة من البرابرة والوثنيين فمن الضرورى تكريس هذه الصورة وتعميقها بشكل مكثف وبسيط فى نفس الوقت. ولم يترك المسئولون عن هذه الحملة نقيصة لم يلصقوها بالإسلام والمسلمين. وتحت راية الصليب تمكن جوتفريد (جودفروا) من الاستيلاء على القدس عام ١٠٩٩، وتوالت الحملات التى لم تقتصر على الشام وفلسطين، أى الأرض التى شهدت مولد المسيح عليه السلام وما جاورها، بل امتدت إلى مصر تحت راية الحملة الصليبية السادسة التى انطلقت عام

١٢٤٨، وتونس التى كانت من نصيب الحملة السابعة عام١٢٧٠ .

ويمكن القول: إن الصدام والحرب قد استمر لأكثر من ألف عام بين المسلمين والمسيحيين والأوروبيين. ويقينا فإن ألف عام من المخاوف والفزع والحقد والكراهية وحملات التشويه المنظمة للإسلام والمسلمين لابد أن تترك آثارها وبصماتها القوية على الشخصية الأوروبية بصفة خاصة والغربية بصفة عامة."

وعندما انتقل زمام العدوان الغربى على العرب والمسلمين من القبضة الأوربية إلى الهيمنة الأمريكية وجدنا صورة من صور التطور فى الخرائط السياسية والثقافية والعسكرية تلبى مطالب الهيمنة الأمريكية والصهيونية فى الحديث عن الشرق الأوسط الكبير.

"فلم يكن غريبا بعد أن منيت الجهود الأمريكية – الأوروبية بالفشل فى تحقيق تسوية سلمية فى الشرق الأوسط أن تحولت الأنظار إلى البحث عن بدائل جديدة لإصلاح أحوال المنطقة.. وادعاء السعى إلى الارتقاء بشعوبها اقتصاديا وديمقراطيا وفى مجال الحريات وحقوق الإنسان وتمكين المرأة... فذلك هو البديل الذى يمكن أن يصرف الأنظار عن قضية السلام وعن العربدة الإسرائيلية والأوضاع المتردية التى انتهت بفرض احتلال لا تبدو له نهاية فى العراق.

يتأكد ذلك من خلال ما جرى فى ميونيخ أثناء اجتماع مؤتمر السياسات الأمنية حول الدور الذى يمكن أن يضطلع به حلف الأطلنطى فى الشرق الأوسط والمشروعات التى يمكن أن تسهم فيها أوروبا وأمريكا للنهوض بالمنطقة واجتثاث جذور الإرهاب وهو ما يمكن أن يتحقق عن طريق " شراكة شاملة " مع الناتو تبسط لواءها على منطقة "الشرق الأوسط الكبير" لتحديث هذه المنطقة ودمقرطتها وتحريرها من التخلف الاقتصادى والسياسى، وليس مصادفة أن تكون هذه المنطقة هى التى تضم الدول الإسلامية من أقصى الشرق إلى حدود الغرب وأن يكون هذا التصور هو المفهوم الذى يروج له المحافظون الجدد فى الإدارة الأمريكية.

والسبب وراء هذا التوجه الجديد واضح كما أسلفنا. ولا يمكن فهمه إلا فى إطار تعثر الخطط الأمريكية فى العراق لإعادة انتاجها كدولة ديمقراطية موحدة والهيار جهود

السلام بين إسرائيل والفلسطينيين وتستهدف أمريكا من وراء ذلك أن يحمل الناتو حتى عاتقه مسئولية التصدى للأوضاع الأمنية فى العراق كما حدث بالنسبة لأفغانستان وإغراق النظم العربية الحاكمة تحت ضغط مشروعات إصلاحية يفرضها الغرب قد تجد معها هذه النظم نفسها فى موقف الدفاع عن وجودها كما يصرف اهتمام الشعوب الإسلامية والعربية إلى النضال من أجل الديمقراطية والحرية بدلا من صرف طاقاتها فى المظاهرات حول العراق والقضية الفلسطينية. أما بالنسبة لأوروبا. فإن مثل هذا المشروع الأمريكى " لشرق أوسط كبير" كما قال رامسفيلد فى خطابه لإقناع الأوروبيين سوف يحميها من الإرهاب ويحد من موجات الهجرة غير المشروعة وعصابات الجريمة المنظمة وتهريب المخدرات وكل ما تعانيه أوروبا من سلبيات بسبب ارتباطها الجغرافى والثقافى والسياسى بدول الجوار الإسلامية فى البحر المتوسط وأفريقيا.

فى كل هذا لا توجد إشارة من قريب أو بعيد إلى مشكلة السلام ولا كيف سيواجه مشروع " الشرق الأوسط الكبير" وضع الهيمنة الإسرائيلية المتفاقمة وتهديداتها باستخدام القوة ضد الدول المجاورة فى سوريا ولبنان.

أما الدول والأنظمة العربية فهى لا ترى ولا تسمع ولا تتكلم، ويبدو أنه ليس لها أيضا حق المناقشة والتشاور حول المشروعات التى تحدد مصيرها ومستقبلها... يكفى أن تناقشه أمريكا مع أوربا وحلف الأطلنطى والدول الصناعية الكبرى. وبعبارة أخرى تبدو المنطقة وقد وضعت نهائيا تحت الوصاية الأمريكية الأوروبية، وقد يتم ضمها إلى حلف الأطلنطى دون أن تدرى" (١٦٣)

وفى أواخر عام ٢٠٠٤م دخل حلف الأطلنطى أداة تنفيذية للسيطرة على العالم العربى والإسلامى. وكان عنوان الورقة التى ناقشها الحلف فى اجتماعه الذى عقد فى إسطنبول عام ٢٠٠٤م " الديمقراطية والتنمية فى الشرق الأوسط: استراتيجية أطلنطية للمشاركة " وفقا للرؤية التى تبناها المشاركون فإن محصلة الجدل الذى ثار فى المنطقة منذ أطلقت المبادرتان الأمريكية والأوروبية للإصلاح الديمقراطى فى الشرق الأوسط هى أن

---

(١٦٣) سلامة أحمد سلامة – المنطقة تحت الوصاية – جريدة الأهرام بتاريخ ١٩-٢-٢٠٠٤م.

الحكومات هناك تراهن على عدم جدية الغرب فى دفعها إلى هذا الطريق، وأن الناشطين من أجل الإصلاح فى الدول المعنية يتشككون بدورهم فى أن الأمريكيين والأوروبيين سيخصصون من الموارد ويبذلون من الجهود ما يكفى لإطلاق عملية التحول المطلوبة، أى أن هؤلاء يتشككون بدورهم فى جدية الغرب..

ومن هنا فلا يزال الجمود هو سيد الموقف، ولكسر هذا الجمود لابد من إثبات الجدية من جانب الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى بكل الوسائل.

ومن الضرورى أن يكون فى مقدمة هذه الوسائل وضع تصور متفق عليه ومعلن للسياسة الأطلنطية فى الشرق الأوسط أو ما يسمى الآن استراتيجية المشاركة عبر الأطلنطى، وهى تتكون من ثلاثة أركان، أولها مساعدة القوى الساعية إلى التغيير الديمقراطى فى المنطقة برمتها، والثانى إيجاد بيئة إقليمية تساعد وتسهل التحول نحو الديمقراطية، أما الثالث فهو إعادة تنظيم الصف الأوروأمريكى فى التعامل مع الشرق الأوسط على مدى عدة أجيال مقبلة.

من هذا التصور تنبثق الأدوات المقترحة لتطبيق كل ركن من تلك الأركان الثلاثة.

فمن أجل مساعدة قوى الإصلاح والديمقراطية يجب أن تجعل جميع الحكومات الأوروبية والولايات المتحدة وكندا هذه القضية هى القضية المركزية فى علاقتها مع دول الشرق الأوسط. وإذا كانت حوافز الرئيس الأمريكى جورج بوش الواردة فى مشروعه المسمى تحدى القرن الحادى والعشرين والتى تمثلت فى مكافآت مالية وعينية للدول العربية التى تحرز تقدما نحو الديمقراطية لم تؤد إلى إحراز التقدم المتوقع أو جزء منه باستثناء ما تحقق مسبقا فى المغرب والأردن، فإن الخطوة التالية هى العقوبات بمعنى ربط المعونات الأمريكية والأوروبية، وكذلك التسهيلات التجارية والتعاون العسكرى والأمنى بالخطوات الإصلاحية، وتوجيه ما سوف يخصم من الحكومات من تلك المعونات إلى منظمات المجتمع المدنى، وإلى الحركات الناشطة فى المطالبة بالإصلاح الديمقراطى، ولذا فإن هناك حاجة ماسة إلى تكوين صندوق أوروأمريكى كأداة غير حكومية للاتصال بمنظمات المجتمع المدنى فى الشرق الأوسط علنا وبمنتهى الشفافية، مثلما سبق وحدث بالنسبة للصندوق الأوروأمريكى للديمقراطية فى آسيا، ونظيره لدعم التحول الديمقراطى

فى أوراسيا، أى فى روسيا وشرق أوروبا.

يتوجب على الاتحاد الأوروبى إعادة النظر فى عملية برشلونة للتعاون الأورو-متوسطى بحيث يصبح التحول الديمقراطى فى جنوب المتوسط وشرقه جزءا لا يتجزأ من هذه العملية، كما تقتضى الجدية من الأوروبيين أن يخصصوا مزيدا من الموارد المالية لوسائل دفع التحول الديمقراطى فى الشرق الأوسط الموسع من خلال منظمات المجتمع المدنى، فأوربا لا تخصص حاليا سوى ٤. مليون دولار سنويا لهذا الغرض فى حين تخصص الولايات المتحدة ٦٠٠ مليون دولار، والحد الأدنى المقبول للمساهمة الأوروبية ينبغى ألا يقل عن ٥٠٠ مليون دولار.

لكن نجاح كل تلك الوسائل يتطلب شرطا أوليا، وهو اتفاق شركاء الأطلنطى على إعلان نيات واضح فى الشرق الأوسط بحيث تتبدد أولا شكوك الأوروبيين أنفسهم فى الأهداف الأمريكية، بما إن كثيراً من ممارسات الإدارة الحالية تؤكد أنها مشغولة بإعادة إنتاج عصر الاستعمار أو على الأقل إعادة إنتاج مشروع امبراطورى بدءا من الشرق الأوسط بما يغير طبيعة النظام العالمى من ناحية ويلحق أضرارا مؤكدة بالمصالح الأوروبية من ناحية أخرى، فإذا تبددت شكوك الأوروبيين فسوف يكون من السهل تبديد شكوك شعوب الشرق الأوسط فى الأهداف الأمريكية، علما بأن أزمة الثقة فى المنطقة فى السياسة الأمريكية مسئولة عن كثير من السلبيات الحالية، وفى مقدمتها فى الأشهر الأخيرة فتور استقبال الشعوب العربية والمسلمة للمبادرة الأمريكية للشرق الأوسط الموسع، رغم إدراك هذه الشعوب حاجتها الماسة إلى الإصلاح الديمقراطى، ورغم أزمة الثقة القائمة بين هذه الشعوب ونظم الحكم القائمة عليها.

بطبيعة الحال هناك وسائل أخرى مساعدة فى تطبيق هذا الركن الأول من أركان الاستراتيجية الأطلنطية لدفع التحول الديمقراطى فى الشرق الأوسط. أبرزها توسيع الاتصالات والتبادل الثقافى مع المجتمعات العربية والمسلمة إلى أقصى حد وتزويد هذه المجتمعات بالمهارات والقدرات الفنية اللازمة لتعزيز مؤسسات التحول الديمقراطى، بدءا من أدوات المراجعة والرقابة المالية فى مواجهة الفساد المالى والإدارى الحكومى، وانتهاء بالرقابة على الأجهزة الأمنية، مرورا بمراكز المساعدة القضائية والتشريعية.

إذا كان المشاركون فى وضع هذه الورقة قد سلموا مضطرين على الأرجح بوجهة نظر حكوماتهم بعدم ربط التحول الديمقراطى فى الشرق الأوسط وجودا وعدما بتسوية المشكلة الفلسطينية وملحقاتها فى سوريا ولبنان، فإنهم فى الحقيقة تبنوا هذا الربط من الناحية العلمية ومن الباب الخلفى، فهم أثبتوا أن سوابق التاريخ فى أوروبا نفسها بشطريها الغربى والشرقى تؤكد أن التحول الديمقراطى الداخلى لا يتأتى – فضلا عن أن ترسخ قواعده – إلا فى ظل بيئة إقليمية سليمة وآمنة، فلولا وجود حلف الأطلنطى لما أمكن للديمقراطية أن تنمو وتتوطد فى أوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، ولولا ميثاق هلسنكى لما أمكن إنجاز التحول الديمقراطى فى أوروبا الوسطى والشرقية بعد إنهيار سور برلين وانتهاء الحرب الباردة.

ومع أن الصراع العربى الإسرائيلى ليس هو النزاع الوحيد الذى يهدد الأمن والسلم فى الشرق الأوسط الموسع، فإنه أخطر وأقدم هذه النزاعات، ولذا فإن الاستراتيجية الأطلنطية لدفع التحول الديمقراطى فى الشرق الأوسط يجب أن تتضمن الأهداف التالية من أجل إيجاد بيئة إقليمية مواتية:

أولا: إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية، وإذا تطلبت مخاوف إسرائيل الأمنية أكثر من نزع سلاح هذه الدولة، ودعم قدرتها على مكافحة المنظمات الإرهابية، فيجب ألا تتردد دول حلف الأطلنطى فى إرسال قوات حفظ سلام من جانبها إلى هناك، كما يمكن وضع هذه الدولة تحت وصاية الأمم المتحدة فترة تكفى لتبديد المخاوف الإسرائيلية.

ثانياً: إنجاز التحول الديمقراطى بأسرع ما يمكن وعلى أكمل الوجوه المتاحة فى أفغانستان والعراق لأن الفشل هنا أو هناك سيكيل ضربة قاضية للقوى الديمقراطية فى بقية الشرق الأوسط الكبير أو الموسع.

ثالثاً: إعطاء أولوية مطلقة لدعم التحول الديمقراطى فى إيران بوصفها ناضجة لمثل هذا التحول.

رابعاً: مزيد من التعاون الأوروأمريكى لدمج تركيا فى القيم والنظم الغربية. ومن ثم يجب عدم إبقائها خارج عضوية الاتحاد الأوروبى، فتركيا تقدم من ناحية نموذجا على إمكان تعايش الإسلام مع الديمقراطية، وفى الوقت نفسه محط أنظار الجميع فى الشرق

الأوسط كمقياس لمدى جدية الغرب فى قبول الآخر المسلم.

خامساً: عدم الاكتفاء بانتقاد الأوضاع غير الديمقراطية فى الدول غير الصديقة للغرب أو للولايات المتحدة على وجه الخصوص مثل إيران وسوريا، وإنما يجب التركيز بنفس القدر على حلفاء الغرب وأمريكا.

سادساً: إقامة منظمة للأمن والتعاون فى المنطقة تتبنى خبرة مؤتمر هلسنكى فى إجراءات بناء الثقة والأمن الجماعى.

المقصود بإعادة تنظيم الصف الغربى فى التعامل مع الشرق الأوسط الموسع كركن ثالث وأخيراً فى الاستراتيجية الأطلنطية لدفع التحول الديمقراطي فى المنطقة، هو إيجاد مؤسسات وكوادر وأدوات للعمل كمهمة أساس وحيدة لإنجاز ذلك التحول، فما يفعله الغرب حاليا هو الدفاع ضد الإرهاب، وعند الحديث عن الديمقراطية بوصفها الهجوم الذى هو أفضل وسيلة للدفاع فى مواجهة الإرهاب، لا نجد أفكارا ولا استراتيجيات خلاقة، وما يحتاجه الغرب حاليا هو إعادة تنظيم صفوفه فى ثلاثة مجالات أساس هى:

أولا: تطوير المعرفة بالمنطقة من خلال إيجاد جيل جديد من مؤسسات البحث والباحثين المختصين بالمنطقة.

ثانيا: إعادة هيكلة المؤسسات الحكومية الأورو- أمريكية المعنية بالشرق الأوسط، فكما سبق القول لا تكفى وزارات الخارجية ولا السفارات لإنجاز التحول المطلوب، وإنما ينبغى إنشاء مؤسسات حكومية على المستوى الوزارى يكون مبرر وجودها هو دفع التحول الديمقراطى فى الشرق الأوسط.

فإذا قامت وزارة أمريكية تحت مسمى وزارة الديمقراطية فى الشرق الأوسط، وكذلك إذا استحدثت مفوضية أوروبية للديمقراطية فى الشرق الأوسط فسوف تكتسب العملية قوة دفع كبيرة، وسوف يحظى المسئولون المباشرون بالهيبة السياسية الكافية.

والمجال الثالث المطلوب إعادة تنظيم الصف الغربى فيه فيما يتعلق بالتعامل مع الشرق الأوسط هو إعادة صياغة المشاركة الأورو- أمريكية فى المنطقة بشكل محدد ومعلن وملزم حتى لا توجد مسافة بين شطرى الأطلنطى تتحرك فيها القوى المضادة للتحول الديمقراطى فى المنطقة، وحتى يمكن رفع الحرج عن القوى المحلية المدافعة عن الدور الغربى

فى إنجاز التحول الديمقراطى فى الشرق الأوسط" (١٦٤) .

ويحاول الدكتور حمدى زقزوق تحليل أسباب ضياع الثقة بين الغرب وبين العرب المسلمين فيقول (١٦٥) :

"إننا لا نستطيع أن نقول إن هذه الثقة قد انهارت تماما بين الجانبين، ولم يعد لها وجود، ولكننا لا ننكر أنها قد اهتزت بصورة واضحة، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة يرجع بعضها إلى أسباب تاريخية قديمة ويرجع بعضها الآخر إلى ظروف وعوامل حديثة، ويمكن تلخيص أهم هذه الأسباب والعوامل فى النقاط التالية:

١. الفتح العربى للأندلس على الرغم من أن هذا الفتح قد جاء معه بتأثيرات حضارية بالغة الأهمية لأوروبا ساعدتها فى مسيرتها فى الانتقال من العصر الوسيط إلى عصر النهضة والعصر الحديث.

٢. الحروب الصليبية وما صحبها من تخريب وتقتيل ونهب وسلب.

٣. الغزو العثمانى للبلقان وحصار العاصمة النمساوية فيينا.

٤. الغزو الاستعمارى لبلاد العالم الإسلامى فى العصر الحديث من جانب كل من إنجلترا وفرنسا على وجه الخصوص وبعض البلاد الأوروبية الأخرى.

٥. الوعد الإنجليزى لليهود عام ١٩١٧ م بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين على حساب سكانها الفلسطينيين الذين لا يزالون مشردين فى مختلف دول العالم ومحرومين من أبسط حقوق الإنسان.

٦. التحيز التام لإسرائيل فى صراعها مع العرب بصفة عامة والفلسطينيين بصفة خاصة منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن.

---

(١٦٤) عبد العظيم حماد – استراتيجية أطلنطية من ثلاثة أركان للديمقراطية فى الشرق الأوسط – جريدة الأهرام بتاريخ ١٤-٧-٢٠٠٤م.

(١٦٥) د. محمود حمدى زقزوق – إعادة بناء الثقة بين العالم الإسلامى والغرب – جريدة الأهرام بتاريخ ٢١-٨-٢٠٠٤م.

٧. الحرب على العراق، تلك الحرب التى تجاوزت الشرعية الدولية وتجاهلت الأعراف المرعية والمواثيق الدولية، وبنيت على مجموعة من المزاعم التى ثبت عدم صحتها، وتبين أن هدف هذه الحرب هو الهيمنة والسيطرة على بترول العراق من ناحية، وحماية إسرائيل من ناحية أخرى.

٨. الترويج فى الإعلام الغربى للربط بين الإسلام والإرهاب:

من الملاحظ بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ أن هناك اتجاها قويا فى الغرب يربط بين الإسلام والإرهاب، وحقيقة الأمر أن الإرهاب موجود فى كل الحضارات، وأنه أصبح ظاهرة عالمية، ولم يكن فى يوم من الأيام صناعة إسلامية.

إن الإسلام موجود منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، وكما أن الأديان الأخرى غير مسئولة عن أى إرهاب يقوم به بعض أتباعها، فكذلك الإسلام غير مسئول عن أى عمل إرهابى يقوم به بعض المسلمين حتى وإن رفعوا أيضا شعارات إسلامية.

إن الإرهاب لم يكن فى السابق، ولن يكون فى المستقبل أيضا سمة مميزة للإسلام تميزه عن غيره من الأديان، لقد برهن الإسلام دائما على قدرته على السلام، ليس فقط خلال القرون العديدة التى شهدت عصر الإزدهار الحضارى للمسلمين، بل وفى كل عصور التاريخ الإسلامى، وقدمت الحضارة الإسلامية فى الأندلس نموذجا يحتذى به للتعايش الإيجابى بين أتباع ديانات التوحيد الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية، وذلك على النقيض مما فعله الاستعمار الغربى فى العصر الحديث من تخريب وتدمير وسلب ونهب لثروات بلاد المسلمين، وتطبيق لسياسة " فرق تسد" لضمان استمرار بقائه فى احتلال تلك البلاد.

وهناك جانب آخر، يتصل بموضوع الإرهاب، وهو الخلط الواضح فى التصورات الغربية بين الإرهاب وحق الشعوب المظلومة فى الدفاع عن حقوقها المشروعة، وهذا حق تكفله القوانين الدولية.

وانطلاقا من هذا الخلط الغريب أصبح ينظر إلى الضحية على أنه إرهابى – كما هو الحال مع الشعب الفلسطينى – وينظر إلى إرهاب الدولة – كما هى حالة إسرائيل – على أنه دفاع عن النفس، وفضلا عن ذلك فإن الحرب على الإرهاب يساء استغلالها

ولتخذ ستارا لتخويف شعوب العالم من هذا الخطر المدمر للعالم كله إلى ضياع الثقة بين العالم الإسلامى والغرب، ولكن العالم الإسلامى من جانب آخر يدرك تماما أنه لا يجوز تحميل الغرب ككل مسئولية هذه الظروف جميعها، فهناك دول غربية لها وجهات نظر مختلفة ومواقف معارضة لبعض هذه السياسات الغربية إزاء العالم الإسلامى، والحرب على العراق أقرب مثال على ذلك.

ومن هنا يمكن القول، بأنه إذا كانت الثقة بين الجانبين قد تصدعت على نحو مخيف فإنه لم يتم القضاء عليها نهائيا، والدليل على ذلك استمرار التواصل الثقافى بين العالم الإسلامى والغرب والحوار الدائر بينهما فى مجالات عديدة، الأمر الذى يجعل استعادة الثقة بين الجانبين أمراً غير مستحيل".

وقبل أن نختم الحديث حول هذه النقطة ينبغى أن ندرك أن هذه النماذج التى ذكرناها والشهود الذين استوعبنا شهاداتهم لا تكتمل بغير إدراك التطور التكنولوجى للإعلام المعاصر، فهذه الزاوية تمثل بوابة واسعة لدخول الدعوة الإسلامية إلى عوالم كانت مغلقة، وفى ولوج هذه البوابة الواسعة الجديدة، فليتنافس المتنافسون بقدر من التنسيق والتنظيم والمثابرة.

وهذا هو السهل الممتنع.

المحور الثاني
تجميع الجزر المتفرقة

إن ما يصدق على أهداف أعداء الأمة العربية والإسلامية يصدق على أهداف الدعوة والإعلام.

تهدف خطط الأعداء فى عالمنا المعاصر إلى تفكيك الأمة العربية والإسلامية، وإحباط هذه المؤامرة لا يتم إلا بالتضامن والترابط والوحدة. كذلك واقعنا فى الدعوة والإعلام الإسلامى.

إننا نملك جزرا كثيرة متفرقة تقوم بهذا العمل فإذا أمكن ربط هذه الجزر وإمدادها بالقوة والرسالة الحديثة المعاصرة لتحقق النجاح الكبير.

يقول فاروق جويدة (١٦٦) "إن أمريكا تريد من العرب أولا أن ينسوا شيئا اسمه اللغة العربية تلك التى تجمع ٣٠٠مليون عربى على كتاب واحد وفيلم واحد وأغنية واحدة وقصيدة شعر واحدة.. وهى تريد من أمة العرب أن تلغى قواعد الجغرافيا وتنسى أنها تعيش فى منطقة واحدة تحكمها ظروف مناخية متشابهة.. وأن تتقطع كل جسور التواصل بين هذه الأمة بحيث تتحول إلى جزر صغيرة أو بقايا دويلات.. ولا مانع هنا من أن يصبح العراق خمس دول.. السودان ثلاثا وأن تكون فى الجزائر والمغرب أو مصر أكثر من دولة... ومن هذا التقسيم الذى لن يبقى منه غير بعض الشراذم التى تحمل أسماء دول لن تكون فى المنطقة دولة أكبر من عصابة تل أبيب.

وهى تريد من العرب أن ينسوا التاريخ تماما؛ لأن تاريخهم مجموعة من قصص الإرهاب والقتل وأن يقطعوا كل صلة لهم بالماضى، فالقبيلة العربية عار أمام الحضارة الحديثة ونظام الأسرة تخلف مرفوض والأنساب لا قيمة لها فى عالم لا يعترف بالبنوة ولا يؤمن إلا باللقطاء... وإذا نسى العرب اللغة والثقافة والتاريخ والأنساب فعليهم بعد ذلك أن ينسوا دينا يؤمنون به اسمه الإسلام.. ومع نسيان الهوية الثقافية والحضارية يمكر أن تسقط العقائد وتتهاوى قدسية الأديان... وهنا يمكن أن يأتى الدور على ما يسمى

---

(١٦٦) فاروق جويدة – المؤامرة الكبرى – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧-٢-٢٠٠٤م.

الأمة الإسلامية، هذه الأمة التى تضم الآن ثلث سكان الكرة الأرضية يتوجهون خمس مرات كل يوم تجاه الكعبة الشريفة فى صلواتهم.. ويقرأون القرآن بلغة واحدة.. ويحجون كل عام ويطوفون فى أماكن واحدة.. وتجمعهم شعائر وطقوس تبدأ بالصيام وتنتهى بتحريم الخمر والقمار والربا. ولهم تاريخ ثقافى وحضارى عريق يبدأ برسول الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم الذى يقول عنه الخالق سبحانه وتعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) وينتهى عند العلماء الذين كرمهم الله وجعلهم ورثة الأنبياء. هذه الأمة الإسلامية التى قدمت للحضارة الإنسانية مجموعة من أنقى وأعظم رموزها فى الاجتماع والفلسفة والرياضيات والفلك والعلوم والطب والتربية والفنون والعسكرية والفيزياء والعمارة، وعشرات المجالات الأخرى التى ما زالت شاهدة على هذه الأمة العظيمة.. إنها أمة لها تاريخ، والمطلوب الآن شعوب ودول بلا تاريخ؛ لأن رأس العالم وقوته العظمى دولة بلا تاريخ... وإذا سقطت أمة الإسلام كما تريد لها أمة الشيطان فسوف تتهاوى كل أركان هذا الكيان العملاق الذى يسمى الأمة الإسلامية... وبرغم كل الأمراض التى تعانيها هذه الأمة فإنها مازالت حتى الآن تحافظ على جذورها.. ما زالت لديها شرائع سماوية... وقرآن عظيم... وتاريخ حافل وما زالت حتى الآن قادرة على أن تقدم بديلا إنسانيا تفتقد التجارب الإنسانية الأخرى إلى الكثير من أساسياته فى السلوك والأخلاق والنظم الاجتماعية.

وماذا سيبقى للعالمين العربى والإسلامى إذا ذابت كل هذه المقومات وتهاوت كل هذه الأسس؟! وهذا يعنى أننا لسنا أمام معركة سياسية أو حضارية عابرة.. ولسنا أمام حملة مشبوهة تحمل فى ظاهرها الحرب على الإرهاب، بينما هى فى الحقيقة تسعى إلى تدمير أمة.. وإسقاط عقيدة ".

والسؤال الجدير بالاهتمام هو: ما هى أهم مشاكل منظمات الدعوة والإعلام الإسلامى؟! إن مشاكل منظمات الدعوة والإعلام الإسلامى تنحصر فيما يلى:

أولاً: عدم التنسيق فيما بينها، وغيبة الخطة الشاملة والخطط التفصيلية فى مختلف المجالات ولمختلف الوسائل، وفى رأيى، أن هذا يحله إنشاء مركز عالمى للإعلام بالإسلام وهو ما سنتحدث عنه بشئ من التفصيل فى الخاتمة.

ثانيا: عدم التمويل. وهذه الظاهرة تمثل كارثة فى الوعى، فكثيرا ما توصى المؤتمرات بتسديد الحكومات لأنصبتها فى مثل تلك المنظمات ولكن دون جدوى، وما تقدمه الدول الغنية البترولية لا يمكن أن يقيم مشروعات دولية، ومن ناحية أخرى إذا اعتمدت منظمة إعلامية دولية على معونات دولة واحدة، فقدت صفتها الدولية، كذلك ينبغى عدم الإعتماد دائما على الدول الغنية البترولية فهذا يقود إلى أمور بغيضة، وينبغى أن تسدد كل دولة حصتها. ثم تكون المساعدات الإضافية من الدول البترولية الغنية مثل الدفعات القوية التى تجعل الطائرة تنطلق لتحلق فوق الأرض. كما ينبغى فتح مجالات متشعبة للتمويل تقوم على أسس إقتصادية مدروسة.

ثالثا: ضرورة إحياء الأرض الموات أو زراعة الأرض البور. ونقصد بذلك الوحدات الصالحة للعمل الإعلامى الإسلامى فى المجال الدولى، مثل إتحادات الطلبة فى الخارج، والعمال المغتربين، ومثل أقسام كليات الإعلام فى العربية والإسلامية. وهذه كلها نوافذ لمنظمات الإعلام الدولى وهى فى الوقت نفسه روافد لها وشرايين تمدها بالخصب والنماء والتجدد.

رابعا: ضرورة البعد عن الأغراض السياسية للحكومات وأهوائها، ويمثل هذا العائق أشد العوائق ضراوة فى تعطيل العمل الإعلامى الإسلامى فى المجال الدولى، فمن الطبيعى أن تكون هذه المواقع فوق الخلافات السياسية والمذهبية والمعهدية والقبلية، وأن يكون اختيار القائمين على هذا العمل وفق القاعدة الإسلامية البسيطة: الناس سواسية كأسنان المشط ولا فضل لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى. تلك القاعدة التى سنها الرسول صلى الله عليه وسلم والتى تمثل قاعدة أساسية وجوهرية فى الإسلام.

خامسا: ضرورة إعداد كوادر بصفة مستمرة، هذا بطبيعة الحال من أوليات العمل الإعلامى على النطاق الدولى، ولا شك أن العالم الإسلامى يملك من الخبرات والقدرات ما يكفى لبدء العمل إذا أحسن الاختيار ووضعت الشروط الموضوعية للاختيار، ولكن لابد أن يكون إعداد الكوادر بصفة مستمرة، استعداداً للانطلاق العظيم. إننى أتصور مثلا أن يقوم المركز الدولى للدعوة والإعلام الإسلامى – إذا قدر له

الإنشاء – أن يظل لعدة أعوام يجرى مسابقات بين المائة الأوائل فى الشهادة الثانوية لكل بلدان العالم الإسلامى. ثم يتولى استكمال تعليمهم لإعدادهم فى مجالات الدعوة والإعلام الإسلامى. وأن تمضى فرق منهم عشر سنوات أو عشرين سنة فى تعلم لغة وفقهها. ثم يعودوا ليتولوا ترجمة جديدة لمعان القرآن بكل لغات العالم. هذا مجرد مثل بسيط نحتاج إلى عشرات غيره.

ويرتبط بهذا إنشاء بنوك المعلومات، ومراكز البحوث والدارسات، التى يمكن أيضا أن يتولى إنشاءها المركز الدولى للدعوة والإعلام الإسلامى إذا قدر له الإنشاء.

الإمكانات الإعلامية فى الحج:

يتعلم الطفل المسلم أن بناء دينه يرتكز على خمسة أعمدة هى: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا. ولأن الشهادة بالوحدانية ملازمة لحياة المسلم لذلك هى أشبه بتنفسه.ولأن الصلاة خمس مرات على الأقل فى كل يوم وليلة لذلك فهى أكثر من وجبات طعامه. ولأن الصوم شهر فى كل عام يختلف فيه نظام معاشه فيظل ثلاثين يوما يذكره ويتعمق فيه، ولأن الزكاة متنوعة وملاصقة لنمو الثروة لدى المسلم لذلك نجدها موضع تساؤله وحواره المستمر يبقى الحج مرة فى العمر كله وفى أيام معدودة من العام كله، تبدأ قبل الوقوف بعرفة بيوم وتستمر لثلاثة أيام بعد يوم عرفة. ما قبلها استعداد، وما بعدها استكمال نقص أو انتظار الرحيل وفى مكان محدد لا يستبدل به مكان آخر.

لذلك كانت معرفة المسلم العادى بالتفاصيل الخاصة بالحج قليلة وسطحية، إذا قيست بمعرفته بالشهادة أو الصلاة أو الزكاة أو الصوم. ولكن المسلم عندما يبدأ مناسك الحج تشغله كله، وعندما يفرغ منها يكون قد ألم بها إلماما يجعلها محفورة فى ذهنه تماما. والحج حجان. بضعة أيام كل عام قمرى ويسمى الحج الأكبر وله مناسك محدودة، ثم حج طوال الأيام الأخرى من العام وعلى مدار الليل والنهار، ويسمى العمرة أو الحج الأصغر. واللغة السائدة تقصر كلمة الحج على الحج الأكبر الذى يعرف بوقفة عرفات وبعيد الأضحى. ولا تستخدم للعمرة إلا لفظ العمرة. وللحج عند فقهاء المسلمين قواعد منها الحج مفردا، ومنها إقران الحج بالعمرة، ومنها التمتع فى الحج. وهى مسائل فقهية

ترتبط بطريقة ذبح الذبائح فى الحج، أو بموعد تغيير ملابس الإحرام بالملابس العادية.ولكن المناسك موحدة شديدة الترابط والإحكام. يبدأ الحاج حجه بصورة من صور التجرد من الدنيا. يرتدى ملابس الإحرام، وينخرط فى سلسلة من المناسك تهز روحه وبدنه وعقله ثم يعود وفق قواعد الفقه إلى الحياة الطبيعية تدريجيا، فبعد رمى الجمرات وقص الشعر أو حلقه يستطيع أن يرتدى الملابس العادية بعد ارتدائه أياما متعاقبة لملابس الإحرام ولكن لا يجوز له التمتع بزوجته، ولا يجوز لها التمتع بزوجها.ثم بعد طواف الإفاضة يصبح ذلك لهما جائزا.

أما العمرة فليس لها أيام متعاقبة وإنما فيها ساعات متعاقبة فإذا وصل المعتمر بملابس الإحرام إلى مكة، ثم توجه إلى الكعبة فطاف حولها، وسعى بين الصفا والمروة، ثم قص شعره أو حلقه يكون قد فرغ من كافة مناسك العمرة.

هذان الحجان يمثلان من الوجهة الإعلامية مؤتمرا سنويا جامعا، ولقاء مفتوحا مستمرا على مدار العام. ومن هنا كان الترابط بين الحج والعمرة فى الإمكانات الإعلامية لكل منهما.

وإذا كان المسلمون اليوم لا يجيدون استثمار الإمكانات الإعلامية فى الحج فليس معنى ذلك خلو الحج من الإمكانات الهائلة إعلاميا. إن أبسط القواعد فى علوم الإعلام أو الاجتماع أو علم النفس تضع أمامنا كنزا من الإمكانات الإعلامية فعلى سبيل المثال لو تأملنا إمكانية التأثير، نجد أن الحجاج عينة عقائدية ممتازة، ولو تأملنا الحالة الوجدانية لوجدنا حالة التهيؤ النفسى، ولو تأملنا التمثيل الفتوى والوطنى لوجدنا تمثيلا دوليا للمسلمين... وهكذا لا نكاد نحصى الفرص الإعلامية التى يتيحها الحاج ولكن هذه الفرص مثل مصادر المياه ومثل النبات ومثل مافى الأرض من كنوز تحتاج لكى تؤتى ثمارها أن يتدخل الإنسان بعقله ليخطط وبعزمه وجهده لينفذ. ماذا لو خصص كل موسم حج فى هذا القرن الخامس عشر الهجرى لمشكلة إسلامية مثل عام المرأة وعام الطفل وعام المسنين وعام المعوقين تلك التى تنظمها الأمم المتحدة؟ ماذا لو أنشأنا فى مكة المكرمة مركزاً دولياً للحضارة الإسلامية أضخم وأعمق وأكثر تقدما من مركز " بوميدو " الثقافى فى باريس. ماذا؟ آلاف الأفكار تمثل فى جوهرها السهل الممتنع والاقتراحات

التى يمكن أن يدلى بها المفكرون والباحثون المسلمون إذا وجد الجهاز الذى يجمع الأفكار والاقتراحات ويطلبها وينميها ويسعى إلى مناقشتها ثم تنفيذها، وتبقى كلمة جديرة بالانتباه إليها والتيقظ لها هى أن الحج لم يفرض للإعلام. وأن المسلم فى أيام الحج مشغول تماماً بالمناسك وبالدعاء. وكل ما يمكن الاستفادة به فى موسم الحج عقب تأدية المناسك هو استثمار الإمكانات المتاحة إعلاميا. ولقد خرجت رابطة العالم الإسلامى إلى الوجود عقب موسم من مواسم الحج. إن مثل الأعمال الإعلامية تدخل فى باب المنافع التى نص القرآن الكريم عليها ضمن ما يشهده المسلمون من مزايا الحج. إن الإعلام ليس هدفا مباشرا للحج ولكنه يدخل ضمن المنافع المتاحة من الحج.

ولقد وسعت لنا التكنولوجيا الحديثة فى فرص ربط الجزر المتفرقة بشبكات الكمبيوتر توسعة لم تتح لأجيال سابقة. وعلينا أن نبدأ خطوتنا الأولى.

المحور الثالث
كثير من التفعيل قليل من الإنشاء

لماذا نجح المصريون فى تأميم قناة السويس (١٩٥٦) وإدارتها بأنفسهم، برغم انسحاب معظم المرشدين الأجانب، وزيادة الضغط على الإدارة الجديدة بزيادة عدد السفن العابرة؟ ولماذا فشلوا فى إدارة مستشفى القصر العينى الذى يتبع جامعة القاهرة، أعرق جامعة حديثة فى الوطن العربى؟

لقد طرح مضمون هذا السؤال الرئيس المصرى الراحل جمال عبد الناصر فى إحدى خطبه منذ مايقرب من نصف قرن. وللإنصاف ليست هذه الظاهرة مصرية فحسب ولكنها ظاهرة عربية وإسلامية فى الوقت نفسه، ولعل النجاح الباهر الذى حققته باكستان فى صنع القنبلة النووية مثال على هذه الظاهرة، فإذا ما قورن هذا النجاح العظيم بخطط التنمية الباكستانية وقصورها عن اللحاق بالنمور الآسيوية مثلا تبين الفارق الكبير. والإعلام العربى لا يكف عن كشف هذه الظاهرة وملاحقتها والتوجه الدائم للتخلص منها. ولقد بلغ الأمر بإطلاق الساخرين من الكتاب على العرب بأنهم ظاهرة كلامية.

لقد عقدت الدورة التاسعة والعشرون لوزراء الإعلام العرب ٢٠٠٤فى أعقاب مؤتمر القمة الذى عقد فى تونس بعد تعسر وتأخير. وكان موضوع الإصلاح على جدول أعماله فماذا كان من شأن مؤتمر وزراء الإعلام؟

"أول مواجهة عملية على أرض الواقع لتطبيق قرارات قمة تونس العربية التى تبنت شعار التغيير والاصلاح فى مسيرة العمل العربى المشترك، كان المفروض أن تتجسد فى اجتماعات وزراء الاعلام العرب بتغيير الكثير من الموضوعات التقليدية التى يتضمنها جدول أعمال اجتماعاتهم وأولها تقويم سليم لمسيرة الإعلام العربى فى المرحلة المقبلة التى ستشهد الكثير من التغيرات الداخلية والخارجية، والمفروض أن يعكسها إعلام صادق بأساليب عمل مختلفة كثيرا عن الماضى والحاضر ولكننا فوجئنا بجدول أعمال لا يختلف كثيرا عن جدول أعمال الاجتماعات السابقة بعبارات إنشائية لدعم القدس والانتفاضة إلى آخر بنود جدول الأعمال الـ ٢٧، وكان من الطبيعى ألا يستغرق الاجتماع أكثر

من يوم واحد لكل من اجتماع وزراء الإعلام واجتماعهم مع وزراء الشباب والرياضة لبحث توحيد الخطط الإعلامية وحقوق البث.

هذه القضايا من الطبيعي ألا تتناسب مع ما يطمح إليه المواطن العربى من إعلامه ورياضته، الآمال كثيرة وفى مقدمتها غزو القنوات الفضائية الأجنبية للعالم العربى بلغته، والتى بدأت بقناة الحرة الأمريكية، وآخرها إعلان هيئة الإذاعة البريطانية (بى.بى.سى) إطلاق محطة تليفزيونية باللغة العربية موجهة لمنطقة الشرق الأوسط لمواجهة المحطات الفضائية العربية التى تثير سخط لندن واشنطن، وتم تقدير ميزانية سنوية لها تبدأ بـ ٢٨ مليون جنيه استرلينى.

هذه الخطوات الإعلامية التى تواكب مشروعات إصلاح الشرق الأوسط الأوسع، الذى بدأت أمريكا وحلفاؤها تنفيذه على أرض الواقع من خلال إنشاء محطات تليفزيونية وتمويل انشاء جرائد ومجلات بالمنطقة بدعم وتمويل خارجى. ألم يكن من الأجدر أن تناقشها اللجنة الدائمة للإعلام العربى وترفع دراسة لوزراء الإعلام لمناقشتها واتخاذ الخطوات العملية لمواجهتها بتنفيذ قراراتهم السابقة لإنشاء قناة فضائية عربية توجه للعالم العربى باللغات الحية واصطدمت بعدم الالتزام المادى من الدول لتدبير نفقات إنشائها، وهى للعلم متواضعة جدا بالمقارنة بميزانية الحرة والـ "بى.بى.سى"، وفى نفس الإطار قرر الوزراء وضع خطة للتحرك الإعلامى العربى بالخارج لمواجهة الحملات المضادة لما يسئ للعرب والمسلمين، وللأسف أيضا تجمدت مع عدم توافر التمويل.

إذا كان الوضع كذلك بإصدار قرارات لا تنفذ ولا تتوافر لها الآلية لتنفيذها، وتأتى الاجتماعات التالية وما قرر لم ينفذ، ثم تطالب بالتغيير والتطوير الذى يفتقد بكل أسف توفر الإرادة العربية للتغير ونفاجأ بإرادة الآخر تفرض علينا ونبحث عن رد الفعل لما يفعله التغيير المطلوب ولكن الأهم هو الفعل"(١٦٧) .

وعلى الجانب الآخر:

---

(١٦٧) أمين محمد أمين – الإعلام والتطوير – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧-٦-٢٠٠٤م.

"جندت إسرائيل داليا رابين لقيادة حملة علاقات عامة بهدف تبرير حكومة الوحدة الوطنية ونفى المسلك العنصرى عنها فى مواجهة الانتفاضة، خصصت إسرائيل أكثر من عشرة ملايين دولار لتحدث العالم عن نفسها، واختارت بيريز عندما كان وزير الخارجية لشارون لكى يدافع ويبرر أعمال وممارسات شارون، وقام باستئجار أربع شركات متخصصة فى العلاقات العامة، حصلت كل منها على أربعة ملايين دولار لتلميع صورة شارون أمام رجل الشارع الأمريكى أثناء زيارة مجرم الحرب إلى واشنطن، أى أن إسرائيل خصصت ١٦ مليون دولار لتغطية زيارة واحدة لشارون إلى واشنطن استمرت خمسة أيام.

والمعنى المضمن فى ذلك هو أن إسرائيل لم تركن إلى المعطيات التاريخية والثقافية التى تبرر تعاطف الغرب معها، ولم تعتبرها معطيات نهائية وقائمة يكفى الضغط على أزرارها لكى تؤدى وتضمن مهمة التعاطف الغربى مع إسرائيل، بل تتعامل مع المستجدات والعناصر الجديدة والمتغيرة وتنفق الأموال الطائلة رغم الأزمة الاقتصادية التى تعانيها من جراء الانتفاضة لتحقيق هذا الغرض فى حين أنه على الصعيد العربى وعندما اجتمع ورراء الإعلام العرب وأدرجوا على جدول أعمالهم الدفاع عن عدالة القضية الفلسطينية، أسفر الاجتماع عن تخصيص مليون دولار للدور الإعلامى العربى. وهو مبلغ يغطى بالكاد أربع نشرات إعلانية على شاشات التليفزيون الأمريكية تستغرق كل منها نصف دقيقة! كما أن هذا المبلغ الصغير قد يقبل أو يرفض مقابل نشر صورة غلاف للموضوع الرئيس فى مجلة مثل: "نيوزويك" الاسبوعية، وبالإضافة إلى ذلك استخدمت إسرائيل الفن والفنانين والنجوم من المغنين والراقصين ليقولوا للعالم إن إسرائيل فوق الشبهات! أثناء الحرب الفيتنامية الأمريكية تبرع كل مواطن فيتنامى بدولار واحد بغرض إعلام الأمريكيين بحقائق الوضع فى فيتنام، واستخدمت الكاتب الأمريكي هارسون سالسبورى لكتابة مجموعة مقالات عن فيتنام فى صحيفة نيويورك تايمز، كانت بداية حملة المناهضة للحرب فى فيتنام، وقد نجحت هذه الحملة إلى حد أنها دفعت دين راسك وزير الخارجية الأمريكية آنذاك إلى إرسال رسالة لرئيس تحرير نيويورك تايمز يقول له فيها إن مجلته أصبحت هانوى تايمز أما اجتماع وزراء الإعلام العرب المشار إليه فقد أفضى كما سبق

إلى تخصيص مليون دولار وتشكيل لجنتين إحداهما موسعة من سبع دول تقوم بجولة لجمع ٢٠ مليون دولار وأخرى مصغرة للإشراف على اتفاق المبلغ، ولم نعرف حتى الآن ما هو مصير هذه الخطة المتواضعة للغاية!.

يمثل المال أحد العناصر المهمة فى هذا السياق أى سياق التأثير على الرأى العام الغربى ــ ولكنه ليس العنصر الوحيد فهناك بالإضافة إليه عنصر الكفاءات والخبرات والإدارة والتنظيم حتى يمكن تشكيل كتلة متجانسة ومؤثرة، وفى تقديرى أن أية خطة للتأثير فى الرأي العام الغربي يمكنها أن تستند إلى بعض العناصر الضرورية للنجاح فى هذا المضمار"(١٦٨)

وكذلك على الجانب الآخر نرى صور البحث والتنقيب والتمحيص فلمدة تسعة أشهر متصلة قبل القمة الأخيرة لحلف الأطلنطى فى اسطنبول عكفت مجموعة من السياسيين والخبراء الاستراتيجيين بمبادرة من صندوق مارشال الألمانى ــ على وضع استراتيجية شاملة لدفع التحول الديمقراطى فى الشرق الأوسط الموسع، وبما أن هذه الاستراتيجية وضعت كخطة عمل للولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبى ــ وليس لحكومات الشرق الأوسط – فإنها قدمت رسميا إلى قمة اسطنبول الأطلنطية التى تبنت معظم ما جاء فيها، تكونت المجموعة من ١٩ عضوا من الولايات المتحدة والدول الأوروبية وتركيا، وتعاونت المؤسسة التركية للمدارسات الاقتصادية والاجتماعية مع الصندوق الألماني فى المشروع الذى اختير له مستشاران هما الدكتور معنى نصور كبير الباحثين بمدرسة السياسات العامة بجامعة جورج ماسون الأمريكية، والبروفسور اريك شيفاليين أستاذ العلوم السياسية بجامعة السوربون الفرنسية.

هذان النموذجان يظهران لنا صورة من صور التفعيل الذى نسعى إليه. ولكن ذلك مايزال فى حدود الأمانى.

ففى المجال الثقافى العربى لا تكاد الصورة تختلف كثيرا عن مثيلتها فى المجال الإعلامى.

---

(١٦٨) د.عبد العليم محمد – القضية الفلسطينية والإعلام العربي – جريدة الأهرام بتاريخ ١٩-٩-٢٠٠٣م.

"كان وزراء الثقافة العرب قد أصدروا قرارا فى شهر ديسمبر من العام٢٠٠٢ أثناء اجتماعهم فى تونس بالموافقة على أن يكون العالم العربى هو محور معرض فرانكفورت الدولى للكتاب لعام ٢٠٠٤ونوقش هذا الموضوع بعد ذلك فى اجتماعات وزراء الخارجية العرب فى القاهرة فى مارس الماضى، ثم مرة أخرى فى اجتماع وزراء الإعلام العرب... ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد من المناقشات، بل أعيدت مناقشته للمرة الرابعة أو الخامسة فى اجتماع مشترك لوزراء الثقافة والإعلام العرب فى القاهرة فى يونيو الماضى... كل ذلك للاتفاق على كيفية العمل على أن تكون هذه المشاركة فى واحد من أهم المحافل الثقافية فى العالم مشاركة فعالة ومجدية. وكانت النتيجة أن وافق الجميع على تخصيص ميزانية مستقلة قدرها ثلاثة ملايين دولار تسهم كل دولة عربية فيها بحسب نصيبها من ميزانية الجامعة.. للإعداد للمعرض ومن الواضح أن المناقشات قد أثمرت ثم أسفرت عن اقتناع بأن مثل هذا المعرض الدولى للكتاب يمكن أن يكون فرصة فريدة لإبراز الدور الحضارى للفكر والثقافة العربية بما يدفع عن الشعوب العربية تهمة التخلف والانعزال عن مجرى التقدم العالمى، ويبيض وجه العرب مما علق به من ظلال وتشويه جعلته قرينا للإرهاب والطغيان وغياب الحريات وحقوق الانسان. وعلى الرغم من أن هذه الفكرة التى نبتت من اقتراح للدكتور غسان سلامة وزير الثقافة اللبنانى آنذاك فى إطار مناقشات احتضنها الأمين العام للجامعة العربية عن حوار الحضارات فى سبتمبر ٢٠٠١، إلا أن إنضاج أية فكرة على النار الهادئة والخافتة للسياسات العربية. كان لابد أن يستغرق كل هذا الوقت حتى تم التوقيع أخيرا بين الجامعة العربية وإدارة المعرض قبل عدة أسابيع فقط أى فى أغسطس الماضى وأوكل إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مهمة التنسيق والإعداد والتنفيذ للمشاركة العربية فى فرانكفورت برياسة الدكتور المنجى أبو ستيتة وأخيراً وجد العرب أنفسهم ضيف الشرف والمحور الرئيس للمعرض وهم على بعد عام واحد فقط من أكتوبر ٢٠٠٤، ومازالوا عاجزين عن تدبير الميزانية اللازمة – ثلاثة ملايين دولار– ليقدموا من خلالها لجمهور أوروبى عريض وعلى اتساع ٩٠٠ متر مربع مجانا ما يريدون تقديمه من أنشطة حضارية وفنية وثقافية وفكرية، فضلا عما لديهم من كتب ومطبوعات، وليقولوا للعالم هاؤم اقرؤا كتابية.. نحن لسنا

كما تروجون وتظنون مجرد فقاقيع بترولية ظهرت على السطح وسرعان ما تختفى!!

دولتان فقط السعودية بالكامل ومصر جزئيا قدمتا نصيبهما. من الميزانية المقترحة أما بقية الدول الأعضاء فى الجامعة فإن بعضها مازال يتثاءب، والبعض الآخر مازال يغط فى النوم، والبعض الثالث لا يرى فائدة من أى شئ... بينما كانت دول أخرى تتسابق لتكون هى محور المعرض بعد روسيا هذا العام بميزانية خمسة ملايين دولار واليابان قبلها بميزانية ٢٠ مليون دولار. فهل ينتهز العرب هذه الفرصة أم يشاركون فى إجهاضها كالعادة!" (١٦٩)

وفى مجال الإصلاح ومحاولة تغيير الصورة المشوهة التى يرسمها الإعلام الغربى للدول العربية بشأن حقوق الإنسان نجد خطى السلحفاء فى عالم متسارع الخطى.

يكتب سلامة أحمد سلامة (١٧٠) : " نبدأ من حيث توقفنا عن الحديث عما نتوقعه لحقوق الإنسان فقد جاءتنى الرسالة التالية من الأستاذ بهى الدين حسن مدير مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان وعضو المجلس القومى يعتبر فيها أننى أسرفت فى التفاؤل ويقول: تمنيت أن يكون لى ١٠% من روح التفاؤل التى عبرتم عنها حتى إنكم توقعتم أن يقوم المجلس بمراقبة انتخابات مجلس الشورى فى يونيو المقبل. وسألت نفسى: وهل سيكون المجلس قد اجتمع قبل ذلك التاريخ؟ ووجد مقرا يدير منه عمله؟ وعين موظفيه وأمينه العام؟ ووضع لائحته الداخلية؟ ووزع المسئوليات بين أعضائه؟ وشكل لجانة الست المتخصصة؟ وهل ستتوافر له الموارد المالية اللازمة لذلك كله قبل بدء السنة المالية الجديدة للدولة؟ قد أبدو متشائما أو مبالغا فى مسائل إدارية تبدو بسيطة ولكن خلف تلك التفاصيل يكمن الشيطان " وفق حكمة معروفة " وهو فى حالتنا تردد السياسة الكامنة خلف قرار الإصلاح.

---

(١٦٩) سلامة أحمد سلامة – العرب ضيف شرف – جريدة الأهرام بتاريخ ٩-٩-٢٠٠٣م.

(١٧٠) سلامة أحمد سلامة – إفراط فى التفاؤل – جريدة الأهرام بتاريخ ٧-٢-٢٠٠٤م.

لقد ضاع علينا أكثر من ثلاث سنوات (من ٢٣ إبريل ٢٠٠٠ تاريخ المسودة الأولى للقانون حتى صدوره فى ١٩ يونيو٢٠٠٣) لكى تقبل الحكومة بسلطة المجلس فى تلقى الشكاوى؟ ثم سبعة أشهر إضافية لتشكيل المجلس؟ فكم تحتاج من الوقت لكى تفصل فى الشكاوى التى سيحولها المجلس إليها، أو تسمح بمراقبة انتخابات مجلس الشورى الذى يتبعه المجلس؟ اكتب إليكم بعد عشرة أيام (١/٢٩) من صدور قرار التشكيل وحتى الآن لم يتصل أحد بأعضاء المجلس أحد والذين لم يسبق استشارتهم قبل التعيين أو بعده وعرفوا بالقرار من وسائل الإعلام مثلما عرفوا أيضا أنهم قد يدعون للاجتماع بعد العيد؟ أليس من الضرورى للمجلس أن تصان كرامة أعضائه أولا حتى نطمح فى الاضطلاع بحماية كرامة وآدمية بقية المصريين؟.

المعنى المؤكد الوحيد حتى الآن من إنشاء المجلس هو أن الدولة تفكر بالإصلاح، أما قرار السير فى القيام بالاصلاح ذاته فليس هناك أى مؤشر جدى عليه بعد، بل هناك مناخ ومعادلات سياسية راسخة تكاد تغلق أى تحرك فى هذا الاتجاه.

وفى هذا الإطار يصعب توقع أن يستطيع المجلس تلبية ولو جزء يسير من توقعاتكم، ما لم يتعامل المجتمع المصرى مع مهمة تفعيل هذا المجلس باعتبارها قضية مصيرية، ليس فقط فيما يتعلق بحقوق الإنسان ولكن كمدخل حيوى لقضية تقدم ونهضة مصر.

ولكى يستطيع المجلس الوفاء بالحد الأدنى من دوره فإن هذا قد يتطلب تحركا فى اتجاهين:

الأول: أن يشتبك المجتمع كله مع المجلس بطريقة إيجابية، أى أن تعتبر الأحزاب والنقابات بما فى ذلك نادى القضاة ومنظمات المجتمع المدنى الأخرى خاصة حقوق الإنسان أولوية خاصة فى جدول أعمالها بتقديم التقارير والمعلومات والمطالب والعرائض من ناحية، ومن ناحية أخرى بوضع المجلس موضع النقد الدائم إذا لم يتفاعل مع توقعاتها بشكل مقنع. وحسنا فعلت منظمات حقوق الإنسان باتفاقها على إنشاء مرصد للتعاون مع المجلس ومراقبة أدائه لوظائفه وإبلاغ الرأى العام بذلك التقييم أولا بأول.

الثانى: أن يمنح رئيس الدولة أولوية خاصة فى جدول أعماله لهذا المجلس، خاصة فى العام الأول التأسيسى، الذى سيتم خلاله إنشاء القنوات وإرساء التقاليد بينه وبين

مؤسسات الدولة الأخرى خاصة الحكومة والبرلمان. وأن يتأكد الرئيس من تعاون كل الهيئات والوزارات ذات الصلة مع المجلس فى كل ما يطلب من معلومات وما يصدر عنه من توصيات واقتراحات.

وأخيراً، قد أبدو مفرطا فى التشاؤم؛ ولذا فإننى اقترح عليكم أن تحتفظوا بالرسالة وتعيدون قراءتها بعد عام، أى فى يناير ٢٠٠٥".

وإلى جانب ذلك كله وفوق ذلك كله بل وقبل ذلك كله يواجه كل ظروف التخلف والتقهقر الحضارى. وسوف نعرض شهادة أربعة شهود تبين شهادتهم نموذجا عن ماذا؟ وكيف؟ يواجه الإعلام الإسلامى على الساحة الدولية. وتقدم لنا صورة من الواقع المعاصر.

يروى الدكتور محمد الهوارى(١٧١) عضو هيئة التدريس بجامعة دمشق وأول رئيس لاتحاد الطلبة المسلمين فى أوروبا أنه فى أوائل عام ١٩٦١م كان يودع زميلا له فى محطة القطار فى مدينة "بروكسل" فى بلجيكا، فيقول: " بينما نحن فى انتظار موعد القطار إذا بنا نشاهد على الرصيف المقابل قطارا احتشد فيه عدد كبير من الأطفال، وعلى الرصيف جمع وفير من الأشخاص يودعونهم، وبينهم عدد لا بأس به من الرهبان والراهبات. لفت نظرنا هذا المشهد العجيب. وأردنا استطلاع الأمر فذهبنا إلى الرصيف، وتبين لنا هناك أن الأطفال هم أبناء من عائلات إسلامية تعمل فى شمالى فرنسا فى عدد من المعامل والمناجم ضمن شروط معاشية سيئة ووضيعة، ويعانى أبناؤها نقصا كبيراً فى التغذية والرعاية والصحة. وتنبهت لهذا الأمر جمعيات تبشيرية تعمل فى فرنسا وبلجيكا، فأرسلت أفرادا منها للاتصال بهذه العائلات وإقناعها بضرورة إرسال أولادها إلى بيوتات نصرانية تستقبلهم وتعتنى بتغذيتهم وتقدم لهم الرعاية والعناية وكل وسائل التسلية والترفيه خلال فترة الصيف، إلى ما هنالك من الأمور التى تترك أكبر الأثر فى نفوسهم. وكان الأمر كذلك.

---

(١٧١) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية – أبحاث ووقائع اللقاء الثالث لمنطقة الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض – ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦م. ص ٧٥.

لقد شاهدت بعيني هؤلاء الأطفال في أحسن حلة من اللباس وأجمل منظر من الطلعة وفي أيديهم الهدايا والحلوى ولذائذ الطعام. واغرورقت الدموع في عيون كثير منهم أسفا على الفراق، فقد كانت الإقامة مؤثرة في حياتهم وفعلت فيهم فعلتها، ووصلت إلى غايتها المنشودة، حتى أن هذا المنظر (الإنساني الأليم) أثر في نفوس بعض المودعين فلوحوا بأيديهم وأعينهم تفيض من الدمع. ووقفت جانبا مع صديقي نبكي هذه الحالة التي وصل إليها المسلمون، حتى أصبحوا لقمة سائغة وفريسة ضعيفة لكل من يتربص بهم الدوائر. ونبكي على حال هذه الجماعة البيضاء هنا التي تتمثل بهؤلاء الأطفال المساكين الموجودين في حالة نفسية صعبة ومستعدة لتقبل جميع ما يقدم إليها من أفكار وتأثيرات نفسية. والهدف النفسي هنا هو التأثير على معنوياتهم، وازدراء الحياة البائسة الأليمة التي كانوا يعيشونها بين أهليهم، وبالتالي حضهم على المقارنة اللاشعورية بين معيشتهم في البيئة الإسلامية المختلفة، وبين ما قدمته لهم العائلات النصرانية التي أقاموا لديها، من عطف ومحبة وعناية من كل الوجوه، والمهمة النفسية: هنا هي الوصول إلى الهدف النفسي عن طريق إثارة القلق لدى هؤلاء الأفراد، ووضعهم في حالة نفسية يختارون بموجبها بين حياة بائسة ومستقبل ملؤه الأمل والازدهار. وأسلوب العمل النفسي: يتجلى في محاولة استقطاب أفكارهم نحو حياتهم البائسة الراهنة، وتذكيرهم بالمستقبل الأسود إذا ما استمروا فيه، وإثارة اهتمامهم بما لاقوه من حسن الضيافة والإكرام، وربط ذلك بالعاطفة الإنسانية النصرانية التي تنبهت لبؤسهم وقدمت لهم كل عون. أما النداء فيتجلى بالمحاورات والقصص والأحاديث العاطفية، التي كانت تتلى عليهم خلال إقامتهم الطويلة في هذه البيوتات، التي ترمي للتأثير على مشاعرهم وعواطفهم، بغرض تحقيق الهدف النفسي وإخراجهم عن دينهم إن استطاعوا".

ويروى الشيخ علي عبد الرحمن الأمين (١٧٢) السوداني وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر قصة أخرى فيقول: "أرجو أن أقص على حضراتكم واقعة، تدلكم

---

(١٧٢) الدعوة إلى الإسلام – المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ص١٤٤، ص١٤٥

على حيل المبشرين ومكرهم، فقد أردت أثناء مروري في بحر الغـزال: أن أزور مركـز راجا، وهو مركز تسكنه قبيلة مسلمة ضمن سكانه الوثنيين والمسيحيين، وبالمركز كنيسة كبيرة، حاولت إنشاء مدرسة في مدينة "حور شمام" عاصمة القبيلة المـسلمة، فعـارض عمدة القبيلة ونشبت بينه وبين القسيس محاورة حادة، فتدخل مفـتش المركـز مؤيـدا القسيس، ويحاول الضغط على العمدة، لقبول مدرسة الكنيسة بين قومه المسلمين، ولمـا أصر العمدة نفاه المفتش، وبموافقة الحكومة المركزية بالخرطوم، إلى مديرية دارفور، وعين أخاه بدله، فأذعن الأخ لأوامر المفتش ورغبة القسيس، وبعد أن تعهدوا لـه بـأنهم لا يعلمون الدين المسيحي، وكانت المدرسة يؤمها عدد كبير من أبنـاء المـسلمين، فلمـا أخبرت مدير بحر الغزال: بأني سأزور راجا، قال لي: إن راجا تبعد ٢٥ ميلا مـن واو، وتبعد مسافة أكثر من ذلك، من حدود دارفور، فلا وسيلة لتعليم أبنائهـا إلا بواسـطة الإرسالية، وقد أذنت للإرسالية أن تفتح مدرسة بحور شمام، لتعليم أولاد المسلمين التاريخ والجغرافيا والرياضة والصحة واللغة الإنجليزية، وحظرت بشدة أن يدخل في المدرسة أي درس ديني، فإذا وصلت راجا أرجو أن تزور المدرسة، لتقف على هذه الحقيقة، وتزيـل الشكوك من أذهان بعض المتعصبين الذين يظنون أن مجرد تبعية المدرسة إداريا للإرسالية معناها التنصير، فوعدته أن أزور المدرسة مصحوبا بالعمدة، وبعـض كبـار الـوطنيين، وفعلا: تمت الزيارة التي استغرقت يوما دراسيا كاملا، حضرت أثناءه كل الحـصص في كل أنواع الدروس، فذهبت كل الدهشة، لأن جدول الحصص خال من أية مادة دينية، ولكن الدروس كلها باستثناء الحساب: هي في الواقع دروس دينية مسيحية، فالتـاريخ كله يتعلق برحلات المسيح والحواريين، وسير المسيحية، من قطر إلى آخر، والصحة كلها تتعلق بالشفاء ببركة المسيح ومسه للمصابين، وشفاء المرضـى، بدعواتـه وصـلواته، والجغرافيا كلها تتعلق بدراسة الرقعة المسيحية بوجه عام، ومنطقة فلـسطين وسـوريا والأردن والفاتيكان بوجه خاص، والمحفوظات عبارة عن ترتيل الكنيسة، وتمجيد المسيح ورسله، والإنجليزية عبارة عن مطالعة من الكتب المسيحية والقصص الدينية، ثم خرجنـا من المدرسة، وذهبنا إلى الاستراحة وأفهمت الجميع أن كل ما سمعته في المدرسـة دروس دينية مسيحية، وأن الطالب حيثما يستوعب هذه الدروس ويتخرج من المدرسة لابد أن

يكون مسيحيا أو على الأقل مستعدا لاعتناق المسيحية، ولا أثر بالمدرسة للغة العربيـــة، ولا الإسلام، مع أن الطلبة لغتهم العربية ودينهم الإســـلام أو هكـــذا يعتقـــدون؛ لأن عربيتهم ركيكة مفككة أقرب إلى الرطانة؛ لأن إسلامهم إسمى، يتعصبون له ولا يعرفونه، واتفقت معهم على إحضار رجل يحفظ القرآن من أقرب منطقـــة وأن ينـــشئوا خلـــوة لتحفيظ القرآن.

الشهادة الثالثة يرويها أحمد بهاء الدين (١٧٣)فيقول " تقوم حركـــة إســـلامية، دستورية، حزبية، فى تركيا... فتصيح صحف الغرب: يا للكارثة! يا للرجعية! يا للخطر! ويرتفع صوت الكنيسة الكاثوليكية فى بولندا... فتصيح صحف الغرب: ما أعظم اليقظة الكاثوليكية! إنها هى التى حفظت شخصية الشعب البولندى ألف سنة! (تاريخيا، هـــذا غير صحيح).

ولكنه خبث السياسة الدولية الذى يصبح أحيانا صارخا، وبلا خجـــل، ودون أي اهتمام بالتناقض المفضوح.

ويقول أحمد بهجت (١٧٤): " فى مسلسل فرنسى اسمه (ميشيل اســـتروجوف)، وفى حلقة يوم السبت ٣ أبريل ١٩٨٢، تم تسليم استروجوف للتتار، وتشير أحداث الرواية إلى أنهم مسلمون، وأدانه أعداؤه وفكروا فى عقابه، وأحضروا كتابا وفتحـــوا بطريقـــة عشوائية إحدى صفحاته، ووضع قائد التتار أصبعه، دون أن ينظر، على أحـــد ســـطور الصفحة، وقرر فقء عينى استروجوف. وتم تسخين سيخ حديدى على النار وفقئت عيناه وقائد التتار يقول: هذا هو حكم كتابنا "القرآن". وتم هذا المشهد وسط جو من الرقص الهستيرى، ووسط تعليقات ممن شاهدوا هذه العقوبة: ما هذه البربرية التى نرها.

وفى هذا المشهد إساءة إلى مشاعر المسلمين، كما أن فيه مغالطة تاريخية. فالتتـــار فى الأصل لم يكونوا مسلمين، وكانوا يرتكبون أفظع أنواع الجـــرائم خـــلال اجتيـــحهم للشعوب التى اجتاحوها، ولكنهم أسلموا فى النهاية. فطويت صفحة جرائم آبائهم وجاء

---

(١٧٣) أحمد بهاء الدين – جريدة الأهرام بتاريخ ٢– ٢– ١٩٨٢م.

(١٧٤) أحمد بهجت – استروجوف – جريدة الأهرام بتاريخ٩–٤–١٩٨٢م.

الأبناء خلقا جديدا لا علاقة له بالبربرية، بل إن الإسلام كان سببا فى هدوء موجة الغزو التترى وذوبان القوى العسكرية البربرية لهم وتحولهم إلى الحضارة وذوبانهم فى غيرهم من الشعوب... وإلا فأين هم التتار اليوم؟

هذه الأمثلة تبين لنا كيف يحيط بنا الإعلام المعادى للدعوة الإسلامية إحاطة السوار بالمعصم. فعلينا أن يكون الفعل موازيا ومتسقا ومؤثرا. وهذه هى عناصر التفعيل.

بعد هذه المحاور التى ينبغى لنا أن نتعمق فى دلالاتها لتقوم خطتنا فى الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامى على بصيرة، لابد أن ندرك أن الواقعية تمثل الركيزة الأساس لنا فى بناء خططنا فى الدعوة والإعلام.

وفى مجال الواقعية ينبغى أن ندرك تأثير التضليل الإعلامى الغربى على المستوى الشعبى والمستوى السياسى ففى أواخر عام ٢٠٠٣ نشرت الصحف الأمريكية نتائج الاستطلاع الذى أجراه أحد مراكز الأبحاث بالتعاون مع جامعة مريلاند، ركز على المعتقدات الخاطئة التى انتشرت بين نسبة غير محدودة من الأمريكيين حول الحرب العراقية ومسئولية بعض وسائل الإعلام الأمريكى عن تغذية مثل هذه المعتقدات. فقد كشف الاستطلاع أن آراء تورط العراق بشكل مباشر فى أحداث سبتمبر وامتلاك النظام العراقى السابق لأسلحة الدمار الشامل بل واستخدام القوات العراقية لمثل هذه الأسلحة خلال الحرب الأخيرة، تعد من المعتقدات الخاطئة والسائدة لدى نسبة غير قليلة من الشعب الأمريكى قد تصل فى بعض الأحيان إلى أكثر من ٥٠ %.

والملاحظة الأهم هى أن هذه المعتقدات الخاطئة تنتشر بين فئات تهتم بمتابعة التغطية الإعلامية لأحداث الحرب عن كثب، بل وكلما ارتفعت معدلات متابعة الأفراد لأخبار الحرب عبر الوسائل الإعلامية المختلفة، زادت فرصة انتشار هذه المعتقدات الخاطئة، غالبية هذه المعتقدات كانت عبارة عن فرضيات واتهامات طرحتها الإدارة الأمريكية خلال المراحل التى سبقت وواكبت الحرب العراقية وإن ظل بعضها مثل اتهام العراق بامتلاك أسلحة دمار شامل مطروحا حتى الآن.

وفى حين لم تنجح واشنطن فى إثبات أى من هذه الفرضيات. يبدو أن عددا غير قليل من الأمريكيين قد قرروا بمساعدة أجهزة الإعلام أن يتعامل مع هذه الاتهامات، على أنها

حقائق، فى دليل جديد على أهمية الدور الذى لعبته الميديا الأمريكية فى توجيه ردود فعل الرأى العام فى الولايات المتحدة "(١٧٥) .

ويقول "نيوت جنجريتش" رئيس مجلس النواب فى الكونجرس الأمريكى أبان حكم الرئيس "بيل كلينتون": " ليس الناس أغبياء ولكنهم غالبا ما يكونون جهلاء، وبسبب جهلهم يتقبلون المعلومات التى ينقلها إليهم صحفيون جهلاء، هؤلاء بدورهم يأخذون معلوماتهم من سياسيين جهلاء مثلهم... والنتيجة: أن سياسيا جاهلا يدلى بحديث جاهل، يلتقطه صحفى جاهل، ثم يعرض على شاشة التليفزيون فى أربعين ثانية لجمهور جاهل".

بهذه العبارات البسيطة الواضحة لا يصف جنجريتش شعبا من شعوب العالم الثالث وإنما يصف الجمهور الأمريكى العريض الذى يعتمد على وسائل الإعلام المحلى الهزيل كمصدر وحيد للمعلومات والمعرفة، وهى وسائل أكبر همها التسلية والإعلانات المثيرة والأخبار ذات الطابع المحلى، ولا تعنى بتثقيف الناس أو تنويرهم، وهى بذلك تدعم حالة الجهل والسذاجة السائدين.

فإذا صح ما يقوله جنجريتش نكون أمام واقع خطير... لماذا؟ لأن هؤلاء الجهلاء السذج هم الذين ينتخبون أعضاء الكونجرس وينتخبون الرئيس الأمريكى الذى لم يعد يعتبر نفسه رئيسا للولايات المتحدة فحسب.. ومهما يكن الأمر فإن القرارات التى يصدرها الكونجرس وتصدرها مؤسسة الرئاسة لا يقتصر تأثيرها على الأمريكيين فحسب وإنما يمتد ليشمل العالم بأسره. هذا إذن كلام يستحق منا كثيرا من التأمل بقدر ما يحتاج إلى وضعه على محك الواقع(١٧٦)

ومن الواقعية أيضا أن ندرك أسس الاختلاف الثقافى والعقائدى بيننا وبين الغرب وأن نشرح ذلك.

يقول مراد هوفمان: " طبقاً لقانون الولايات المتحدة فإن الذى ولد مواطناً أمريكياً لا يستطيع أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة لأنه ولد خارج الأراضى الأمريكية. وإذا

---

(١٧٥) يسرا الشرقاوى – الميديا الأمريكية – جريدة الأهرام بتاريخ ١٨-١-٢٠٠٤م.

(١٧٦) محمد يوسف عباس – مجلة الهلال – أكتوبر ٢٠٠٣

كانت هذه القاعدة لا تمثل انتهاكا لحقوق الإنسان، فإن من الواجب أيضا أن نقبل بشكل مماثل الاحتفاظ بمناصب معينة للمسلمين فى الدولة الإسلامية".

وهذا يقودنى إلى التعارض بين النظرية الغربية والشريعة الإسلامية فى مجال مساواة المرأة. إذ ليس هناك من جدوى فى إنكار أن الشريعة تقدم نموذجا مضادا (للنموذج الغربى) ينطلق من التقسيم الطبيعى لدور ووظيفة كل من الجنسين. وتأسيسا على ذلك فإن الشريعة تلتزم بمبدأ "أن المساواة فى المعاملة لا تطبق إلا فى الظروف والمواقف المتماثلة، وليس فى الظروف والمواقف المختلفة ". وفى كل الأحوال فإن الشريعة الإسلامية تحرص على صون كرامة المرأة، ومنع استغلال الرجل لبعض نقاط الضعف الأنثوية الكامنة فى الاختلاف البيولوجى.

وهكذا جاءت الصيغة الإسلامية: المساواة فى الكرامة مع اختلاف الأعباء، والمساواة فى المنزلة مع اختلاف الأدوار، والمساواة فى القيمة مع اختلاف القدرات.

وليس هناك من طريقة موثوقة لقياس ما إذا كانت النساء الغربيات العاملات، كنتيجة لما يتمتعن به من تحرر أوسع، قد حققن مرادهن وسعادتهن أكثر من أخواتهن الشرقيات. هناك الكثيرون الذين يقولون بغير ذلك. وعلى أية حال فإن الشك يساورنى فى وجود نظام ليس بوسعه أن يضمن للمرأة " حياة كريمة"، إذ إن هذا الأمر يتوقف إلى حد كبير على سلوك الإنسان مع الآخرين ومع نفسه.

إن السعادة مناطها القلب.

ولكن هناك شيئا واحداً ينبغى للنقاد الغربيين احترامه، وهو: أن المسلمين يعتبرون أن الله (سبحانه وتعالى) هو صاحب القول الفصل فيما يتعلق بحقوق الإنسان، وأن هذا القول يوجد فى القرآن" (١٧٧) .

كذلك من الواقعية أن ننظر إلى حوادث التفجيرات داخل العالم الإسلام بعين حذرة. " فالنقاش الساخن الذى شهد العالم بداياته قبل عدة سنوات حول "صراع الحضارات "

---

(١٧٧) مراد ويلفريد هوفمان – يوميات ألمانى مسلم (ترجمة عباس رشدى العمارى) – ط ١– مركز الأهرام للترجمة والنشر – ١٩٩٣ – ص٢١٤، ٢١٥.

" أوصدام الثقافات " لتفسير عمليات العنف التى قامت بها جماعات إسلامية متطرفة فى الغرب، يوشك أن ينحسر الآن إلى "صراع إسلاميات " موجه إلى الداخل، أى إلى داخل الأمة الإسلامية نفسها... تحارب فيه جماعات إسلامية راديكالية موتورة نظما ذات صبغة إسلامية أو دولا تستند إلى الإسلام ولا تتخذ منه موقف العداء، وبعبارة أخرى فقد تحول الصراع إلى فتنة داخلية بين أنصار الإسلام المعتدل الذى يراعى موازين القوى والمتغيرات العالمية ولا يعادى الغرب، وبين دعاة التطرف والتغيير بالعنف الذين يعتقدون أن العالم الإسلامى يواجه عدوانا على العقيدة من الغرب الكافر، ولابد من مقاومة هذا العدوان بالقوة وبكل الوسائل الممكنة أينما كان.

ويبدو أن الغرب قد نجح بالفعل فى مطاردة هذه الجماعات المتطرفة من أوروبا وأمريكا وحصرها فى محيطها الإسلامى، كما نجح فى اختراقها وتوجيه أنشطتها التدميرية إلى المجتمعات الإسلامية التى تستوعبها وتختبئ بين أركانها، أى أن المشكلة أزيحت من الغرب إلى العالم الإسلامى لتضع المسلمين فى مواجهة بعضهم البعض، ويجرى تصوير الوضع على أنه إسلام متخلف فى مواجهة إسلام متحضر، أو إسلام العصور الوسطى فى مواجهة إسلام العصر الحديث... ومثل هذا الانشقاق الإسلامى الذى يفضى إلى تمزيق المجتمعات الإسلامية وإنهاكها لن يعود بالخير على المسلمين والعالم الإسلامى بل سيوقعه فى مزيد من الضعف والتناقض.

ومن هنا تبدو الحاجة ملحة لإصلاح جذرى واسع النطاق فى النظم الإسلامية، وقبل كل شئ فى مناهج الفكر الإسلامى والخطاب الدينى وأساليب الحكم بأبعادها الإقتصادية والاجتماعية قبل فوات الأوان!!" (١٧٨).

من صور الواقعية التى ينبغى أن نضعها نصب أعيننا هى وزن السياسات الغربية بميزان دقيق. والكاتب والناقد الاجتماعى والثقافى السيد ياسين يعرض ويفند كتابا من كتب السياسات الإستراتيجية الأمريكية فيقول: (١٧٩) "والكتاب الذى أصدرته شيرلى

---

(١٧٨) سلامة أحمد سلامة – صراع إسلاميات – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩-١١-٢٠٠٣م.

(١٧٩) السيد ياسين – التشخيص الأمريكى للحالة الإسلامية – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩-٧-٢٠٠٤م.

بينار له عنوان لافت للنظر حقا وهو "الإسلام المدنى الديمقراطى: شركاء وموارد واستراتيجيات" والباحثة لا تتردد فى وصف مهمة الكتاب بأنها إسهام فى عملية " إعادة بناء الدين الإسلامى" Religion Building على غرار عملية " بناء الأمة Nation Building وهذه العملية لا ينبغى على الغرب وفى مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية الانفراد بها، بل من الضرورى اصطفاء عناصر فاعلة من بين التيارات العلمانية والحداثية بل والتقليدية الإسلامية لكى تسهم فى هذه العملية المعقدة. ومن هنا يأتى العنوان الفرعى لهذا التقرير الاستراتيجى المهم "شركاء وموارد واستراتيجيات". فكلمة الشركاء تشير إلى هؤلاء الفاعلين الإسلاميين الذين سيقبلون لسبب أو لآخر الاشتراك مع الجهود الغربية عموما والأمريكية خصوصا فى عملية إعادة صياغة الأفكار الإسلامية من خلال عملية إصلاح دينى لها خطوطها البارزة والتى تصب فى النهاية فى استئصال الفكر المتطرف مما سيؤدى بالضرورة إلى تجفيف منابع الإرهاب. أما إشارة العنوان الفرعى إلى الموارد فمعناها ببساطة تخصيص ميزانيات ضخمة للاتفاق على المشروع من خلال وكلاء يقومون بمهمة تجنيد الأنصار ونشر الكتب وإصدار المجلات التى تحمل الفكر الإصلاحى الإسلامى الجديد! والولايات المتحدة الأمريكية لديها خبرة فى تجنيد "الوكلاء" و"الأنصار" و"العملاء" لتنفيذ مشاريعها الثقافية المخططة التى تهدف منها إلى إعادة صياغة نسق القيم فى المجتمعات العربية والإسلامية. ويمكن أن نرد هذه الخبرة إلى عصر الحرب الباردة حين خاضت الولايات المتحدة الأمريكية حربا ثقافية ضد الشيعية. هذه الحرب موثقة توثيقا ممتازا فى كتاب "الحرب الباردة الثقافية " الذى أصدره المشروع القومى للترجمة فى المجلس الأعلى للثقافة.

وتواصل الولايات المتحدة الأمريكية اليوم – وخصوصا بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر– حربا ثقافية من نوع جديد موجهة ضد التيارات الإسلامية المتطرفة. وأصبح لديها اليوم برنامج معلن لنشر قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان. ليس ذلك فقط بل أصبح لها "وكلاء" رسميون ومعتمدون تغدق عليهم الأموال ليقوموا بأدوار معتمدة داخل مجتمعاتهم، بعضها معلن والآخر سرى، لن نعرف طبيعته إلا بعد مرور عدد من السنين. ويؤكد كلامنا القرارات التى صدرت من الكونجرس الأمريكى لتخصيص منحة

مالية ضخمة للوكيل الأمريكي المعتمد فى مصر لتنفيذ هذا البرنامج، وإمعانا فى التحدى تقرر أن تكون هذه المنحة خصما من المعونة الأمريكية للحكومة المصرية".

نماذج الواقعية تقدم لنا أمثلة، ولا تقع فى نطاق الحصر. وقد تدفع هذه النماذج سؤالا ماذا نفعل فى نطاق الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامى؟ هل نكتفى بالوعى عند وضع الخطط؟ أم هناك ما نعمله فورا؟ نعم.

يجيب فهمى هويدى (١٨٠) على مثال من الواقع الفلسطينى قائلا: "إن إسرائيل بسياستها الرامية إلى استكمال بناء الجدار الوحشى تستدعى بقوة تجربة نظام الفصل العنصرى فى جنوب إفريقيا الذى أدانه العالم ولفظه فسقط معنويا وأخلاقيا قبل أن يسقط سياسيا وينضم إلى قمامة التاريخ، وفى حيثيات قرار محكمة لاهاى الذى أبطل شرعية الجدار سند قانونى وأخلاقى فى غاية الأهمية يمكن أن يركز عليه أى جهد يبذل لتعرية قبح الموقف الإسرائيلى وفضحه، ذلك أن تلك الحيثيات أكدت أن إسرائيل فى الضفة الغربية والقطاع دولة محتلة، وأبطلت كل ما صدر عنها من أفعال أو أقيم من مستوطنات أو مشروعات فوق الأرض المحتلة، وبتحدى إسرائيل ذلك القرار فإنها اختارت أن تسف فى المربع اللاقانونى واللاأخلاقى وهو ما نبه إليه وحذر منه بعض العقلاء وأهل القانون فى إسرائيل ذاتها (للعلم فقرار محكمة لاهاى كان مشجعا لحفيد الزعيم الهندى الراحل مهاتما غاندى ــ اسمه أرون غاندى ــ الذى يدير معهداً للاعنف يحمل اسم جده فى الولايات المتحدة، لكى يقود مجموعة من الناشطين لشن حملة ضد الجدار وضد الاحتلال).

فى الوقت ذاته فإن انتفاضة الأسرى الفلسطينيين توفر فرصة أخرى لفضح الممارسات الإسرائيلية فى السجون التى لم تكن الجرائم التى ارتكبت فى أبو غريب وجوانتانامو إلا استنساخا لها، ويستطيع الإعلام العربى ــ إن وجد ــ أن يلعب دورا أساسيا فى هذه المهمة وعند الحد الأدنى، فبوسع المؤسسات الفلسطينية ولجان العودة أن تعمم المعلومات الخاصة بتلك الممارسات عبر شبكة الإنترنت.

---

(١٨٠) فهمى هويدى – عن معركة الأمعاء الخاوية – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤-٨-٢٠٠٤م.

وإذا أراد "المتضامنون" أن يفعلوا شيئا مفيدا بدلا من إحالة مسئولية الفعل إلى الآخرين، فلماذا لا يطالبون مثلا بتعميم الإضراب على العالم العربى والإسلامى لمدة يوم على الأقل يوقف فيه العمل ويشهر الاحتجاج على الملأ لكى يفضح الموقف الإسرائيلى أمام العالم بصورة قوية.

وإذا شاء هؤلاء أن يثبتوا جديتهم بصورة حاسمة وتضامنهم القلبى وليس الشكلى أو الإعلامى فحسب. فلماذا لا ينضمون إلى حملة مقاطعة إسرائيل أكاديميا وثقافيا بسبب مواقفها اللاإنسانية واللاأخلاقية واللاقانونية فى الأرض المحتلة. أدرى أن هناك من سيلوى شفتيه ويتململ فى مقعده عند ذكر كلمة مقاطعة، لكنى أريد أن اضع بين أيدى هؤلاء تجربة نفرمن المثقفين الإنجليز الشرفاء الذين خاضوا تلك التجربة ونجحوا فى أن يعلنوا موقفا علميا شريفا ضد همجية الاحتلال ولا أخلاقيته.

ففى ٢٠٠٤/٨/٢٠نشرت صحيفة " الحياة " اللندنية تقريرا مفصلا عن "حملة المقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل" أعدته الصحفية فاتنة الدجانى، ذكرت فيه أن الحملة انطلقت من لندن حيث بادر أكاديميان بريطانيان هما ستيفن وهيلارى روز فى أوج الاجتياحات الإسرائيلية للأراضى الفلسطينية إبان صيف عام ٢٠٠٢، إلى نشر رسالة مفتوحة فى صحيفة " الجارديان" حملت ١٢٣ توقيعا لأكاديميين بريطانيين، دعت الرسالة مؤسسات الثقافة والأبحاث الأوروبية والقومية التى يمولها الاتحاد الأوروبى ومؤسسة العلوم الأوروبية إلى فرض عقوبات على إسرائيل، من قبيل قطع التمويل عنها، ما لم تلتزم قرارات الأمم المتحدة وتبدأ بشكل جاد فى التفاوض على الحل السلمى مع الفلسطينيين.

هذا التحرك اكتسب تأييدا متزايدا، إذ تحولت الرسالة إلى عريضة حملت ألف توقيع من بلدان متعددة وضمت عشرة أكاديميين إسرائيليين، وأكدت العريضة رفض التعاون أكاديميا مع المؤسسات الإسرائيلية الرسمية بما فيها الجامعات، كما رفضت المشاركة فى المؤتمرات العلمية التى تقيمها إسرائيل أو إجراء التعاون البحثى أو حتى الاستشارى،وإن شددت على أن التعاطى مع الأكاديميين الإسرائيليين سيتم على أساس فردى.

تزامن هذا التحرك مع دعوة أطلقتها الجمعية الوطنية لمؤسسات الدراسات العليا

فى بريطانيا دعت فيها كل المؤسسات إلى إعادة النظر فى علاقاتها الأكاديمية مع إسرائيل فورا. ولحقت بها جمعية أساتذة الجامعات فى بريطانية التى صوتت لصالح مقاطعة تمويل الجامعات الإسرائيلية. وكانت نتيجة ذلك أن انخفض إلى حد كبير عدد الأكاديميين البريطانيين المشاركين فى المؤتمرات التى أقيمت فى إسرائيل فى حين امتنع عدد منهم عن قبول أوراق بحثية لأكاديميين إسرائيليين.

حين يفكر بعض البريطانيين على هذا النحو، ويتضامن معهم ألف أكاديمى، فإن ذلك ينبغى أن يشعرنا بالخجل، ليس فقط لأننا لم نفعل شيئا مماثلا هو فى مقدورنا لاريب، ولكن أيضا لأننا نطرح السؤال الأبله: هل بوسعنا أن نفعل شيئا من أجل الأسرى غير الشجب والمناشدة؟".

وخلاصة القول: أن الخطة الواقعية فى مجال الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامى لا تلغى التلقائية أو الذاتية، ولكن المقصود هو أن يتم العمل فى إطار عام، وثوابت متفق عليها، وأن يزيد كل جهد فى الدعوة الجهد السابق أو المجاور أو الموازى. وأن تتفاعل وتنمو وتخصص الجهود لتصبح فى إجمالها متضاعفة غير متناثرة ولا متناقضة أو عديمة التأثير.

obeikandl.com

الخاتمة

نظـــرية القافلة القاطرة

تقودنا فصول هذه الدراسة إلى التفكير في ضرورة العمل القوى لدفع حركة الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي لتصبح مثل القاطرة التي تجر عربات القطار. وهذه رؤيتي في إنشاء مركز عالمى للإعلام بالإسلام والدعوة الإسلامية.

اجتمع يوما أصحاب رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبدالله بن مسعود أنـا. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجل له عشيرة يمنعونه من القـوم إن أرادوه. قـال: دعوني فإن الله سيمنعنى، وغدا ابن مسعود إلى مقام إبراهيم أمام الكعبة في ضحوة النهار، وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام فقرأ: (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ) فتـأملوه ثم تنبـهوا فضربوه على وجهه، ثم انصرف إلى أصحابه وعلى وجهه آثار الضرب. فقال أصـحابه هذا الذي خشينا عليك، فرد عليهم بأنه مستعد لأن يفعل ذلك في اليوم التالي. فـردوا عليه بالنفي. ماذا لو خاطبنا المجتمع الدولي بمثل هذا العـزم وقـد تغـيرت الوسـائل والأساليب؟؟

يقول المستشرق الإنجليزى (السير توماس أرنولد المتوفى عـام ١٩٣٠م) في كتابـه الدعوة إلى الإسلام الذى نشره في عام ١٨٩٦م والذى ترجم إلى اللغة العربيـة عـام ١٩٤٧م، يقول أرنولد في خاتمة كتابه تحت عنوان: دعاة المسلمين. عدم وجـود هيئـة منظمة لهم.

" أما في الإسلام فإن عدم وجود أى لون من ألوان الكهنوت، أو أية هيئـة دينيـة منظمة أيا كانت، قد جعل نشاط الدعوة عند المسلمين يتجلى في صـور مختلفـة تمـام الاختلاف عن تلك التي تظهر في تاريخ البعوث التبشيرية المسيحية، فليس هناك جمعيات للدعوة ولا موكلون مدربون لهذا الغرض ".

ثم يستدرك المؤلف قائلا: لم تبدأ هيئات منظمة على غـرار الجمعيـات المسـيحية التبشيرية في الظهور إلا في القرن العشرين. وما يود "أرنولد" أن يؤكده هو عدم وجود

كهنوت في الإسلام، والمعلم الديني في الإسلام واحد من عامة المسلمين. فليست هناك نظرية ترى ضرورة العكوف على تأدية الوظائف الدينية، أو التصريح بها في الإسلام. ويضيف "أرنولد" قائلا: ومهما تكن المساوئ التي نجمت من حاجة المسلمين إلى طبقة كهنوتية تختص بنشر العقيدة. فقد وجدوا ما يعوضهم عنها في ذلك الشعور الناشئ عن المسئولية التي ألقيت على كواهل المؤمنين من الأفراد، ولما لم تكن هناك واسطة بين المسلم وربه، كانت مسئولية خلاصه الشخصي ملقاة على كاهله وحده. ثم يضيف قائلا: " وما يردده الباحثون بأن كل مسلم داعية إلى دينه، يبقى قولا صحيحا".

ويستعرض أرنولد نماذج تاريخية من الدعاة تؤكد قوله منهم الملوك ومنهم الفلاحون والعمال البسطاء والمدرسات البسيطات. وبرغم ما يقع على المستشرق فيه عادة من خطأ بسبب عدم إدراكه للشريعة الإسلامية، فإن ما سوى ذلك من أمثلة يستحق التقدير العلمي والثناء. ومن أمثلة الخطأ تأثير الزوجة المسلمة على المغولي حتى يسلم، فالواقع أن المسلمة لا تتزوج غير مسلم. وربما كان المعنى هو دورها بعد دخوله منه أولا في الإسلام فزواجها.

حتى المسلم الأسير، يغتنم الفرص في المناسبات لدعوة آسريه وإخوانه في الأسر إلى دينه. وقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر بفضل ما قام به أسير مسلم في القرن الحادي عشر الميلادي. وفي القرن السابع عشر الميلادى في عهد الإمبراطور جهانجيز (١٦٠٥ – ١٦٢٨م) دخل السجن فقيه مسلم يدعى الشيخ أحمد مجدد. وخلال عامين قضاهما في السجن أدخل في الإسلام عدة مئات من عبدة الأوثان الذين كانوا يرافقونه في السجن. وفي إفريقيا الوسطى حكم البلجيكيون على زعيم عربي بالإعدام، فقضى ساعاته الأخيرة وهو يحاول أن يدخل في الإسلام ذلك المبشر المسيحي الذى كان قد أرسل إليه ليزجى إليه التعازى الدينية. ويمضي أرنولد قائلا: وإذا كان المسلمون قد بلغوا مثل هذه الحماسة في نشر الدعوة إلى حد أنهم كانوا على استعداد للتحدث عنها في مناسبة وفي غير مناسبة ــ كما يقول دواتي ــ في حصافة ودقة وملاحظة، وحديثهم دائما (في غير زندقة) عن الدين.

ويرى أرنولد أنه في مقدمة أسباب نجاح الدعاة المسلمين بساطة العقيدة الإسلامية في

التوحيد الخالص، وهو يؤكد قول "مونتيه" بأن الإسلام في جوهره دين عقلي بأوسع معاني الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية، فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationalism بأنه طريقة تقييم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ينطبق عليها تمام الانطباق. ويرى أرنولد أنه لا يمكن إنكار ما علق بالعقيدة من خرافات وتقديس الأولياء وما شابه ذلك. ولكن برغم ذلك حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تعديل أو تبديل، باعتباره النقطة الأساس التي بدأت منها تعليم هذه العقيدة. لقد جهر القرآن دائما بمبدأ الوحدانية في عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول" (١٨١).

ويقول سيد قطب: إن الإسلام ليس حادثا تاريخيا، وقع مرة، ثم مضى التاريخ وخلفه وراءه.. إن الإسلام مواجهة دائمة لهذه البشرية إلى يوم القيامة وهو يواجهها كما واجهها أول مرة، كلما انحرفت هي وارتدت إلى مثل ما كانت فيه أول مرة (١٨٢)

والواقع أنه " لم تتجه شريعة الإسلام لصنف من الناس دون صنف، ولا لقوم دون قوم.. بل هي شريعة – كذلك – لكل البشر، وآيات القرآن الكريم توضح هذا وتقول:

* "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ".
* "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ".
* "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"
* " وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ".
* "وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ".

---

(١٨١) توماس أرنولد ــ الدعوة إلى الإسلام (ترجمة: د. حسن إبراهيم و د. عبد المجيد عابدين وإسماعيل البحراوي) ــ الطبعة الثالثة ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٩٧٠م ــ ص ٤٥٤، ص ٤٥٥).

(١٨٢) سيد قطب ــ في ظلال القرآن ــ جزء ٣ ــ مرجع سابق ــ ص ١٢٥٥ .

* "لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ"
* " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"

وهكذا تتوالى آيات القرآن الكريم، كما توالت أحاديث الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، كما وردت وقائع السيرة النبوية، وسلوك الخلفاء الراشدين والصحابة الأبرار والتابعين وتابعيهم.. توالى كل ذلك وتواتر وتتابع.. بحيث أصبح القول والإيمان بعالمية الشريعة الإسلامية أمرا معلوما من الدين بالضرورة.. تلك كانت عالمية الشريعة الإسلامية في عالم الشعوب بعد الحكام، وفي عالم التطبيق البشرى بعد البيان القرآني والسلوك النبوي الكريم.

ومن هنا.. يتجلى.. وبغاية الوضوح.. أن نشر هذه الرسالة الإسلامية هو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، أما إذا لم يقم به البعض فإنه يصبح فرض عين. ويقع إثم التقصير في الدعوة إلى الله على جميع أفراد المسلمين.. كل منهم بحسب قدرته وإمكانياته المادية والمعنوية.." (١٨٣).

ويقول الملك الراحل خالد بن عبد العزيز:

" إن رسالة الإسلام رسالة إنسانية عالمية.. لا تفرقة فيها أو تمييز، وإنني لأتطلع إلى مقبل الأعوام، وقد قام كل فرد مسلم وكل عالم ومفكر إسلامي، وكل قائد مسلم بواجبه في نشر هذه الرسالة الخالدة والتعريف بها. وقد هيأت لنا العلوم والثقافة والتقنية ووسائل الإعلام كل الإمكانيات والسبل لإبلاغ هذه الرسالة"(١٨٤).

من هذه الأسباب نرى إنشاء مركز عالمى للإعلام الإسلامى ضرورة عصرية أوجبتها ظروف العصر. ولقد شغلت فكرة استراتيجية إعلامية إسلامية بعض الهيئات والمنظمات المتخصصة مما يمكن اعتباره مجالا من مجالات المركز العالمى للإعلام الإسلامى.

---

(١٨٣) الشريعة الإسلامية والنظرة العالمية ـــ افتتاحية مجلة الدعوة (السعودية) العدد٧٧٥ بتاريخ ٨-١٢-١٩٨٠م .

(١٨٤) من خطاب الملك الراحل خالد بن عبد العزيز آل سعود الذي ألقاه الأمير فهد (ولي العهد) آنذاك الملك بعد ذلك في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الإسلامية في المسجد الحرام بعد عصر يوم الأحد ١٩ ربيع الأول ١٤٠١هـ الموافق ٢٦ يناير ١٩٨١م .

لقد قدمت جامعة الدول العربية ورقة عمل للمؤتمر الأول للإعلام الإسلامي بجاكرتا (شوال ١٤٠٠هـ - سبتمبر ١٩٨٠م) ذكرت فيها أن الإعلام الإسلامي ينبغي أن يتناول ثلاثة محاور أساسية وهي:

١- التعريف بالقيم والمبادئ الأساس التي يقوم عليها الإسلام، وتقدم النماذج الإسلامية في الحياة الإنسانية ووجوه عطائه الحضاري، وما يميزه بشكل واضح يعين على الفهم والرؤية، والمساهمة الفعالة في مسيرة الحضارة الإنسانية على ضوء الإسلام وبهدى من تعاليمه السمحة.

٢- دراسة واقعنا الإسلامي بصورة موضوعية، وتحليل العوامل التي أدت بالمجتمعات الإسلامية إلى القعود والضعف والتخلف، وتحديد منطلقات الدفع لتصحيح مسار الأمة الإسلامية إلى الأصالة والتجديد والقوة والعطاء.

٣- التعمق في دراسة التحديات الحضارية المعاصرة للإسلام وللأمة الإسلامية، والتصدي في منهجية للحملات الإعلامية المعادية والمغرضة وبالخصوص في القضايا السياسية والدينية.

كما قدمت مقترحات للنهوض بالإعلام الإسلامي على النحو التالي:

- شمول النظرة في العناية بالإعلام المقروء من صحف ونشرات ومجلات وكتب، وبالإعلام المرئي والمسموع من إذاعة وتلفزيون وسينما ومسرح ورسوم، ونشرها في العالم الإسلامي على أوسع نطاق.

- شمول الإعلام الإسلامي للأقليات الإسلامية في مختلف الأقطار غير الإسلامية وبمختلف اللغات الحية ولغات العالم الإسلامي، ومزيد العناية بهم، وإعداد برامج إذاعية لهم، وإمدادهم بما يحتاجون إليه من كتب دينية ملائمة.

- تكوين مراكز ومعاهد عليا للإعلام الإسلامي يتخرج منها متخصصون إعلاميون في أعلى مستوى علمي وفني وتكنولوجي، وتشجيع البحوث والدراسات في رسائل الدرجات العلمية بالجامعات في مجال الإعلام الإسلامي، وذلك بالتعاون مع وزارات الإعلام والثقافة والتعليم.

- رصد الجوائز المشجعة للإنتاج الإعلامي المتفوق في مختلف فروع الثقافة

الإسلامية، توفيرا للمادة الإسلامية الإعلامية المنفتحة في مختلف المجالات بما في ذلك مجال الترفيه.

- إنشاء منظمة علمية للإعلام الإسلامي تكون مصدر إشعاع وتشريع وتوجيه، وتنبثق منها مؤسسات إعلامية مع دعم الوكالات الإسلامية للأنباء.

- نشر الإعلام الإسلامي في العالم على أوسع نطاق ممكن، حتى لا يبقى منغلقا على نفسه، وحتى لا يوسم بالتزمت والانعزالية وتطعيمه دوما بالثقافات المعاصرة التي لا تصادم مبادئ الإسلام ولا تخالف أصوله.

- وضع ميثاق الشرف للإعلام الإسلامي على أسس قومية، وفي مرونة تساعد على التطبيق، وتسمح باجتلاب أكبر عدد ممكن من الأقطار الإسلامية، وإن اختلفت مذاهبها، ونظمها السياسية والاجتماعية عملا بمبدأ التقريب بين المسلمين، وضمانا لنجاح الميثاق في أهدافه العليا وغاياته الأساس.

ولقد وضعت منظمة إذاعات الدول الإسلامية تصورا للقضايا والموضوعات التي يمكن للإستراتيجية الإعلامية الإسلامية أن تطرحها على النحو التالي:

١) تحديد الأهداف الكبرى الرئيسة لأجهزة الإعلام الإسلامية.

٢) تصحيح النظرة إلى الإسلام وتنقية الفكر الإسلامي مما علق به من شوائب.

٣) المساهمة مع الأجهزة والمؤسسات المعنية في العمل على إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، والتعريف به بعد تخليصه من التشويه والتحريف.

٤) تسليط الأضواء على المعطيات الحضارية والثقافية والإنسانية للإسلام، وتوظيف قيمه في بناء الإنسان المسلم.

٥) إبراز عطاء الإسلام للحضارة الإنسانية واستمرارية قدرته على ذلك.

٦) كشف إفلاس الحضارة الغربية بشقيها الغربي والشرقي.

٧) إظهار إمكانات الإسلام على قيادة حركة الإنسان المسلم وترشيد مسيرة الإنسان المعاصر في عصر المعاناة والقلق والتمزق والذي لا مخرج منه – رغم التقدم المادي المذهل – إلا في ظل قيم الإسلام ومثله الإنسانية الرفيعة والواقعية. وفي ظل التوازن أو التعادلية التي تمثل سمة الإسلام. ومبادئ وتشريعات الإسلام.

٨) تعريف الشعوب الإسلامية ببعضها وتقوية وسائل الاتصال فيما بينها، من خلال منظمة إذاعات الدول الإسلامية ووكالة الأنباء وكافة وسائل الاتصال، فليس من المعقول أن يجهل المسلمون أحوال بعضهم، أو تعرف الخرطوم أخبار كمبالا مثلا عن طريق لندن أو نيويورك او موسكو، وليس من المعقول أن تكون المسافة بين أية عاصمتين إسلاميتين أطول من نفس المسافة حين تمر بعاصمة أجنبية في أقصى المعمورة، أو كما قيل بحق فإن المسافة من أية عاصمة أوروبية إلى أية عاصمة إسلامية أقصر دائما ـــ من الناحية الإعلامية ـــ من نفس المسافة في الطريق العكسي.

٩) مواجهة سيطرة الدول المتقدمة على العملية الإعلامية وبصفة خاصة في النظام الحالي للاتصالات (صحافة – إذاعة – تلفزيون – وكالات).

١٠) إن حق الإعلام أحد حقوق الإنسان ولابد من مواجهة الاختلال الرهيب في التوازن بين أخبار ومعلومات العالم المتقدم وبين أخبار ومعلومات الدول النامية ومنها الإسلامية، ولقد نشر أن ثلاثة أرباع البشرية تقريبا وأغلبه في العالم الإسلامي لا يحظى بربع التغطية الإعلامية.

ولا يخفي آثار ذلك في التعتيم الإعلامي على أنباء العالم الإسلامي وشعوبه وقضاياه ومشاكله وآماله، مع تلوينها بحسب الأهواء والمصالح الاستعمارية، ومع تجاهل وتشويه أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية.

١١) لقد نقلت المنظمة في بيان لها في المؤتمر العاشر في فاس عن دراسة منشورة أن الدول المتقدمة تسيطر على ٨٥ – ٩٠% من أصل الطيف للذبذبات الإذاعية، ولا أمل في تحسن ذي قيمة في وقت قريب.

إن بعض الإذاعات المتقدمة فضلا عن ذلك تبث برامجها من أراضي دول نامية – بينها دول إسلامية – وبعضها إذاعات دينية موجهة، لا بقصد خدمة أتباع تلك الديانات، وإنما بقصد الغارة الثقافية والإعلامية التبشيرية الموجهة ضد العالم الإسلامي.

١٢) ضرورة وضع خطة لمواجهة الغزو الثقافي الإعلامي.

١٣) ضرورة خدمة الثقافة والتراث الإسلامى من خلال الأعمال الفنية، مع تنسيق إنتاجها وتنشيط تداولها تجاريا وتبادليا.

١٤) طرح عطاء الإسلام العقدى في مواجهة الفلسفات والمذهبيات والنظم الاجتماعية من الشرق والغرب. وتأكيد دور الإعلام في بناء الشخصية المسلمة.والبناء الثقافي اللازم لانبعاث المسلمين ونهضتهم، بحيث تقدم مبادئ الإسلام الرئيسية مع إبراز إجمالها لما يتغير وتفصيلها لما يتغير لتأكيد وتوضيح صلاحيتها لكل زمان ومكان. وهذه العقدية هى التي يتوجه بها المسلمون إلى العالم ويتسلحون بها في ذات الوقت، لمواجهة الغارة الإلحادية التبشيرية الصهيونية التي تستهدفه من كل الوجوه.

إن مثل هذه الجهود من جامعة الدول العربية، ومن منظمة اتحاد إذاعات الدول الإسلامية، إلى جانب البحوث والدراسات التي تتعلق بهذا الموضوع يمكن أن تكون نواة لاستراتيجية إعلامية إسلامية.

والواقع أنه ينبغى لنا دراسة إنشاء مركز عالمى للإعلام الإسلامى والدعوة الإسلامية بروح عصرية، فلابد من اشتراك الشيعة مع السنة في مثل ذلك النشاط، لقد اشتركت في نشر المسيحية في إفريقيا أكثر الأمم المسيحية (١٨٥) : الأمم الكاثوليكية، الأمم البروتستانتينية على حد سواء. ولقد كان من أهم العوامل التي ساعدت على نشر المسيحية في القرن التاسع عشر تغير نظرة المبشرين إلى العادات الوثنية. فقد كان هؤلاء أول الأمر ينظرون إلى هذه الديانات نظرة احتقار، وانصرفت جهودهم الأولى إلى محوها من نفوس الزنوج. غير أن المبشرين بدءوا يستعينون بعلم الأجناس ويعرضون على أعضاء البعوث التبشيرية قبل أن يقصدوا تلك الجهات اتباع خطة مرسومة تقضى بدراسة البيئات دراسة شاملة وفهم نظمها الاجتماعية وملحقاتها.

وعمد المبشرون إلى الاختلاط بالسكان والتعاون معهم في كل مناسبة، وترجمت الكتب المقدسة إلى اللغات المحلية. وفرضت على هؤلاء المبشرين مهمات اجتماعية

---

(١٨٥) د. حسن أحمد محمود ــ الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ــ الجزء الأول ــ دار النهضة العربية ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٦٣ ــ ص ٣٦، ٣٧ .

وثقافية. وبدأت الكنائس المحلية تعين قساوسة من الإفريقيين حتى يدرك الزنوج أن الكنيسة ليست احتكارا للجنس الأبيض، بدأ هؤلاء المبشرون يتوسلون بوسيلتين بالغتى الخطورة: أولاهما الخدمة الطبية بإنشاء المستشفيات. فأنشأت مئات المستشفيات والعيادات فعملت على تنمية العلاقات بين المبشرين وأهل البلاد. ثم إنشاء المدارس المسيحية، وإذا أنشأ المبشرون في إفريقيا الزنجية المدارس قبل أن تبدأ الحكومات، بل اضطرت بعض الحكومات إلى أن تعهد للمبشرين بمهمة التعليم ".

هذه التجارب التاريخية ينبغي الاستفادة منها، ووضعها في الاعتبار عند تأسيس المركز العالمي للإعلام الإسلامي.

وإذا تحدثنا بشيء من التفصيل، فإن مثل ذلك المركز ينبغى أن تكون له قواعد في الخرطوم وشمال إفريقيا وتركيا وباكستان وغيرها. إن فرع المركز بالخرطوم مثلا يمكن أن يكون قاعدة للتوجه إلى إفريقيا السمراء، وفرع باكستان قاعدة للتوجه إلى آسيا، وفرع الشمال الإفريقى قاعدة للتوجه إلى أوروبا وبخاصة البلدان الناطقة بالفرنسية وإفريقيا الناطقة بالفرنسية.. وهكذا.

لقد فرضت طبيعة العصر ــ كما سبق القول ــ على رجل الإعلام ورجل الدعوة أن يدرس الجمهور الذى يتوجه إليه. إن تنوع أنماط التعليم المختلفة واختلاف طرق التفكير، ونوع القيم والعادات والتقاليد، وبمعنى شامل اختلاف الثقافات بين الأمم كل ذلك له آثاره التي من شأنها أن تقف سدا أمام الإعلام الدولى ما لم يحسن اختياره. لذلك من السهل على السودانيين أن يتخاطبوا مع وسط إفريقيا وغربها، ومن السهل على المغاربة والجزائريين والتونسيين مخاطبة فرنسا، ومن السهل على الباكستانيين مخاطبة الشعوب الآسيوية المحيطة بهم، ومن السهل على الأتراك مخاطبة أوروبا الشرقية.

إذا وضعنا تصورا لتنفيذ هذه الفكرة. فكرة إنشاء مركز عالمي للإعلام الإسلامى فإن السبيل إليها في غاية اليسر، إن التمويل وهو أهم مشاكل المشروعات لا يمثل مشكلة، إذ إن التبرعات ومساهمات البنوك الإسلامية، والحكومات الإسلامية كفيلة بجلب عدة مليارات من الدولارات لتحقيق المشروع. ولكن مثل هذا المشروع يحتاج إلى شخصية في مستوى ملك أو رئيس ينفخ فيه الروح.. لماذا؟ لأن الظروف الموضوعية المعاصرة للعالم الإسلامى تحتم ذلك.

أما كيف يبدأ التنفيذ؟ يبدأ بعقد مؤتمر لذلك. ومن المؤتمر يقوم الهيكل التنظيمى للمركز، ويمكن تصور هذا الهيكل على النحو التالي:

تصور للهيكل التنظيمي للمركز الدولي للإعلام الإسلامي والدعوة الإسلامية

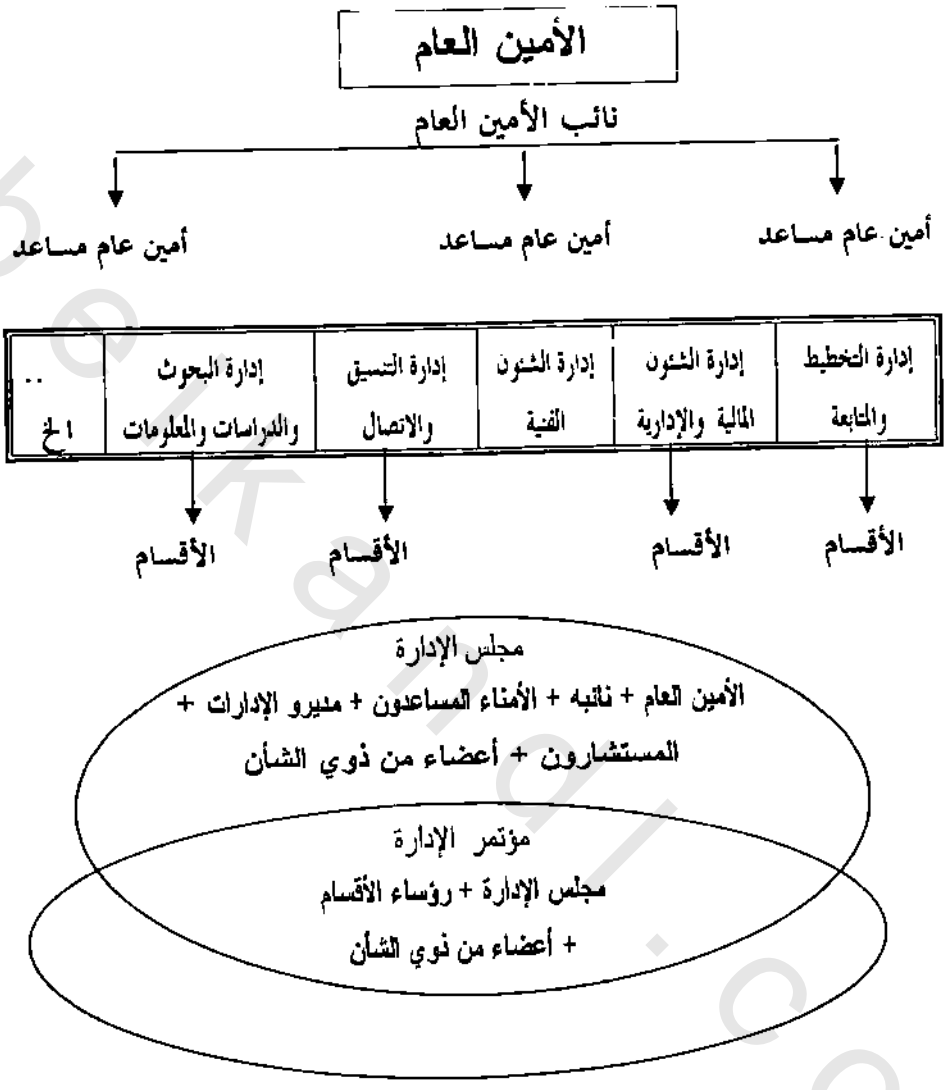

obeikandl.com

هذا النموذج يمكن أن يمثل القاطرة التي تجر عربات الجزر المتفرقة للدعوة الإسلامية وللإعلام الإسلامي.

ومن باب الإنصاف والصدق مع النفس فإن هذا المثل الذى ضربته بإنشاء مركز عالمي للإعلام الإسلامى والدعوة الإسلامية يمكن أن يجتهد غيرى فيضرب مثلا مثله أو أجدى منه.. والعبرة في أن تتحرك القافلة وأن ينطلق شعاع الدعوة الإسلاميه إلى آفاق الدنيا.

والله من وراء القصد

والله ولى التوفيق،،،

obeikandl.com

obeikandl.com

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- كتب التفسير.

٣- صحيح البخاري.

ثانياً: كتب عربية ومعربة:

- ابن مسكويه ـــ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق (حققه وشرح غريبه ابن الخطيب) ـــ ط١ـــ المطبعة المصرية ومكتبتها ـــ القاهرة.
- ابن هشام – السيرة النبوية (تحقيق مصطفى السقا وآخرين) – الجزء الثاني – مصطفى البابي الحلبي وأولاده – القاهرة – ١٩٣٦م.
- أبو الأعلى المودودي – الحجاب – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٧٨م.
- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – الجزء التاسع عشر – إدارة الطباعة المنيرية – القاهرة.
- أحمد أمين – ضحى الإسلام – مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٧م.
- د. إدوارد سعيد – تغطية الإسلام – (ترجمة سميرة نعيم خوري) – الطبعة العربية الأولى – مؤسسة الأبحاث لعربية – بيروت – ١٩٨٣م.
- البابا شنودة الثالث ـــ الوصايا العشر ـــ ط٧ ـــ مطبعة الأنبا رويس بالعباسية ـــ القاهرة ـــ ١٩٨٩م.
- السيد ياسين – الإمبراطورية الكونية، الصراع ضد الهيمنة الأمريكية – نهضة مصر – القاهرة –٢٠٠٤م.
- المختار من الكامل في التاريخ لابن الأثير – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٨م.
- المختار من تاريخ الطبري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٨م.

- المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية- تأليف نخبة من أساتذة قسم الاجتماع – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – الخطة الشاملة للثقافة العربية – الكويت – ١٩٨٦م.
- المنظمة العربية لحقوق الإنسان – حقوق الإنسان العربية –كتاب غير دوري – ٢٧-٢-١٩٨٥م.
- د. بركات أحمد – محمد واليهود، نظرة جديدة – (ترجمة محمود على مراد) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٨م.
- د. تركي صقر – الإعلام العربي وتحديات العولمة – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية – دمشق – ١٩٩٨م.
- توماس أرنولد ـــ الدعوة إلى الإسلام (ترجمة: د. حسن إبراهيم و د. عبدالمجيد عابدين وإسماعيل البحراوي) ـــ ط٣ ـــ مكتبة النهضة المصرية ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٠م.
- توماس ل. فريدمان – السيارة ليكساس وشجرة الزيتون – (ترجمة ليلى زيدان) – الدار الدولية للنشر والتوزيع – ط١ – القاهرة – ٢٠٠٠م.
- جاك بيرك – أي إسلام – (ترجمة بشير السباعي) – ط١ – دار العالم الثالث – القاهرة – ٢٠٠٤م.
- جاكوب برونوفسكي – التطور الحضاري للإنسان – (ترجمة د. أحمد مستجير) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٧م.
- د. جلال أمين – العولمة – ط ٣ – سلسلة اقرأ – دار المعارف – القاهرة – ٢٠٠٢م.
- جون ستروك – البنيوية وما بعدها – (ترجمة د. محمد عصفور) سلسلة عالم المعرفة – الكويت – فبراير ١٩٩٦م.
- جوستاف لوبون – حضارة العرب – (ترجمة عادل زعيتر) – ط٤ – مطبعة عيسى البابي – القاهرة – ١٩٦٤م.
- جون ستوارت مل – الحرية – (ترجمة طه السباعي) – الهيئة المصرية العامة

للكتاب – القاهرة – ١٩٩٦م.
- جيهان رشتي – الأسس العلمية لنظريات الإعلام – دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٧٨م.
- حسن أحمد محمود ـــ الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ـــ الجزء الأول ـــ دار النهضة العربية ـــ القاهرة ـــ ط٢ ـــ ١٩٦٣م.
- د. حسن على محمد – ثورة الإعلام – سلسلة اقرأ – دار المعارف – القاهرة –٢٠٠٣م.
- د. رشاد رشدى – ما هو الأدب؟ – مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٨م.
- روجيه جارودي – في سبيل حوار الحضارات – (تعريب د. عادل العوا) – عويدات للنشر والطباعة – بيروت – ط ٥ – ٢٠٠٣م.
- روجيه جارودي ـــ كيف نصنع المستقبل؟ (ترجمة وتقديم: د. منى طلبة وأنور مغيث) ـــ ١٩٩٨م ـــ ط٢ ـــ دار الشروق ـــ القاهرة ـــ ٢٠٠١م.
- د. رؤوف شلبي ـــ الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغايتها ـــ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٤م.
- د. زين العابدين متولى – الفلك عند العرب والمسلمين – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٧م.
- سامح كريم – إسلاميات – مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٨م.
- د. سعيد على ثابت – الأصول الفكرية للإعلام، دراسة نقدية مقارنة – ط١ – دار الفضيلة – الرياض – ١٤١٧ هـ.
- د. سعيد على ثابت – الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم – الناشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – الرياض – ١٤١٧ هـ.
- د. سليمان صالح – أخلاقيات الإعلام – مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع – الكويت – ٢٠٠٠م.

- د. سليمان صالح – مستقبل الصحافة في ضوء ثورة الاتصال – مكتبة دبي للتوزيع ومكتبة النيل – مسقط – ٢٠٠٢م.
- سيد قطب – في ظلال القرآن – المجلد الثالث – ط ١٤ – دار الشروق – القاهرة – ١٩٨٧م.
- صامويل هنتنجتون – صدام الحضارات – (ترجمة طلعت الشايب) – سطور – القاهرة – ١٩٩٨م.
- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي – (قرأه وشرحه محمود شاكر) – السفر الأول – ط٢ – مطبعة مدني – القاهرة – ١٩٧٤م.
- د. عائشة عبد الرحمن – القرآن والتفسير العصري – سلسلة اقرأ – ط٢ – ١٩٩٩م.
- عباس محمود العقاد – أثر العرب في الحضارة الأوروبية – ط٤ – دار المعارف – القاهرة – ١٩٦٥م.
- عبد التواب مصطفى – القدر المفتري عليه في الإعلام العربي – كتاب الجيب الإسلامي – دار ابن لقمان للنشر والتوزيع – القاهرة.
- د. عبد الحليم النجار – مذاهب التفسير الإسلامي للعالم المستشرق أجنتس جولد تسهر – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٥٥م.
- د. عبدالحميد يونس ـــ فن الإذاعة، أثر الإذاعة في المجتمع ـــ مركز التربية الأساس في العالم العربي بسرس الليان ـــ دار المعارف ـــ ١٩٥٨م.
- د. عبد الرحمن عميرة – رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠٠١م.
- د. عبد الرزاق أحمد السنهوري – أصول الحكم في الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٨م.
- د. عبد الفتاح عبد النبي – المؤثرون، دراسة نموذج أئمة المساجد في بناء الاتصال – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ١٩٩٥م.
- د. عبد اللطيف أبو السعود – الانترنت – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٧م.
- د. عبد اللطيف حمزة – الإعلام في صدر الإسلام – ط١ – دار الفكر العربي للطبع والنشر – القاهرة.

- د. عبد الله شحاته – أركان الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٧م.
- د. عثمان أمين – في اللغة والفكر – معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة – ١٩٦٧م.
- د. على عبد الواحد وافى – حقوق الإنسان في الإسلام – دار نهضة مصر للطبع والنشر – ١٩٧٩م.
- د. على عزت بيجوفيتش – الإسلام بين الشرق والغرب – (ترجمة محمد يوسف عدس) – مجلة النور الكويتية – ١٩٩٤م.
- على محمد على الشريف وأسامة إبراهيم حافظ – النصح المبين في تصحيح مفاهيم المحتسبين – ط١ – مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة – ٢٠٠٢م.
- د. على محمد القاسمى –اتجاهات حديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى – جامعة الرياض– ١٩٧٩م.
- فاروق سيد حسين – الإنترنت الشبكة العالمية للمعلومات – مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٨م.
- فاروق محمد العادلى – المدخل إلي علم الاجتماع – دار الكتاب الجامعي – ١٩٨٩م.
- فرانسيس فوكوياما – نهاية التاريخ وخاتم البشر– (ترجمة حسين أحمد أمين) – ط١ – مركز الأهرام للترجمة والنشر – مؤسسة الأهرام – القاهرة – ١٩٩٣م.
- د. فرنسوا زبال – تكَوُّنُ الكتاب العربي – ط١ – معهد الإنماء العربي – بيروت – ١٩٧٦م.
- فريتس شتيبات – الإسلام شريكا – (ترجمة د. عبد الغفار مكاوي) – عالم المعرفة – الكويت – أبريل ٢٠٠٤م.
- د. فوزى فهمى – عار العالم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠٠٣م.
- د. فوزى فهمى – الثقافة والتجدد – ط٢ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٧م.
- كارل ر. بوبر– أسطورة الإطار – (ترجمة يمنى طريف الخولي) – سلسلة عالم المعرفة – الكويت – أبريل ومايو٢٠٠٣م.

- د. كمال أبو المجد – حوار لا مواجهة – مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠٠٢م.
- ل. جون مارتن، أنجو جروفر شودري – نظم الإعلام المقارنة – (ترجمة على درويش) – الطبعة العربية الأولى – الدار الدولية للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٩٠م.
- مجدى محمد رياض – الفلسفة الخلقية عند الأشاعرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٣م.
- محمد أحمد الشهاوي – نواميس الله في الكون – مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٧م.
- محمد الغزالي ـ مع الله ـ دراسة في الدعوة والدعاة ـ ط٤ ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ ١٩٧٦م.
- محمد خليفة التونسي – الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون – ط٤ – القاهرة – ١٩٦١م (غير مبين الناشر).
- د. محمد رؤوف حامد – الوطنية في مواجهة العولمة – سلسلة اقرأ – دار المعارف – القاهرة – ١٩٩٩م.
- د. محمد سيد محمد – الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر – ط١ – دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٩٤م.
- محمد عبد الله عنان – مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٧م.
- محمد عبد الواحد حجازى – موقف الإسلام من الفنون – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٧م.
- محمد عطيه الإبراشي – عظمة الإسلام – (الجزء الأول) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة –٢٠٠٣م.
- د. محمد فريد عزت – بحوث في الإعلام الإسلامي – دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة – جدة – ١٩٨٣م.
- محمد فريد وجدى – من معالم الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠٠٠م.

- محمد فؤاد عبد الباقي – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – دار الحديث خلف الجامع الأزهر، ودار الريان للتراث – القاهرة – ١٩٨٧م.
- محمود أمين العالم و عبد العظيم أنيس ـــ الثقافة المصرية ـــ دار الفكر الجديد ـــ ١٩٥٥م.
- د. محمود حمدى زقزوق – الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري – ط٢ – كتاب الأمة – قطر ١٤٠٤هـ.
- د. محمود علم الدين – مصداقية الاتصال – دار الوزان للطباعة والنشر.
- مراد ويلفريد هوفمان – يوميات ألماني مسلم – (ترجمة د. عباس رشدى العماري) – ط١ – مركز الأهرام للترجمة والنشر – ١٩٩٣م.
- ملفين ل. ديفلير و ساندرا بول و روكيتش – نظريات وسائل الإعلام – (ترجمة كمال عبد الرؤوف) – الطبعة العربية الأولى – الدار الدولية للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٩٢م.
- موريس بوكاى – القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم – دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٢م.
- نانسى بكارد – إنهم يصنعون البشر – (ترجمة زينات صباغ) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٩٧م.
- هانسى، بيتر مارتين وهارالد شومان – فخ العولمة، الاعتداء علي الديمقراطية والرفاهية – (ترجمة د. عدنان عباس على، مراجعة وتقديم د. رمزى زكى) – سلسلة عالم المعرفة – الكويت – العدد ٢٣٨ – أكتوبر ١٩٨٨م.
- د. هدى وصفى – النقد الأدبي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٩م.
- ياسين رشدي – من أخلاقيات الإسلام – ط١ – مكتبة نهضة مصر – القاهرة – ١٩٩١م.

ثالثا: بحوث ومقالات:

- أ– البحوث:
- بحوث المؤتمر العلمي السنوي التاسع لكلية الإعلام جامعة القاهرة – ٤ أجزاء – مايو ٢٠٠٣م.

- بحوث المؤتمر العلمي السنوي الثامن لكلية الإعلام – جامعة القاهرة – جزءان – مايو ٢٠٠٢م.
- بحوث ندوة الثقافة العربية بعنوان " الواقع وآفاق المستقبل " – ١٢–١٥ أبريل ١٩٩٣م – كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية – جامعة قطر – الدوحة.
- ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي – مسقط – سلطنة عمان – في الفترة من ١–٣ شعبان ١٤٠٥ هـ الموافق ٢١–٢٣ أبريل ١٩٨٥م – الناشر – مكتبة التربية العربي لدول الخليج – الرياض – ١٩٨٧م.
- ب– المقالات:
- إبراهيم فتحي – ١١ سبتمبر وخطاب الاستشراق – جريدة الأهرام – بتاريخ ٤–١٠–٢٠٠٣م.
- إبراهيم نافع – جنون الخطر الأخضر – جريدة الأهرام بتاريخ ٣١–٨–٢٠٠٤م.
- أحمد أبو مطر – الشخصية القومية وهجوم الغزو الثقافي – الناقد – العدد١٧ بتاريخ نوفمبر١٩٨٩م.
- أحمد بهجت – وثيقة دامغة – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٣–٧–١٩٩٣م.
- أحمد بهجت ــ استروجوف ــ جريدة الأهرام بتاريخ ٩–٤–١٩٨٢م.
- أحمد عبد المعطي حجازي – الأسباب مفهومة – جريدة الأهرام بتاريخ ٨–١٠–٢٠٠٣م.
- أحمد عبد المعطي حجازي – الدعوة للجميع – جريدة الأهرام بتاريخ ٣٠–١–٢٠٠٢م.
- أحمد عبد المعطي حجازي – الكتابة نزال دائم – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٨–٧–١٩٩٣م.
- أحمد محمد جمال – دفاع عن الشعر والشعراء – جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٤–٤–١٩٨٠م.
- البابا شنودة الثالث ــ ما هو الخير؟ ــ جريدة الجمهورية

بتاريـــخ ٢٥-١١-٢٠٠٣م و ٢٤-١١-٢٠٠٣م.
- السيد يسين ـــ التشخيص الأمريكي للحالة الإسلامية ـــ جريدة الأهـــرام بتاريخ ٢٩-٧-٢٠٠٤م.
- السيد ياسين – الأعلام والتواصل العـــربي الأوروبي – جريـــدة الأهـــرام بتاريخ ٨-٤-٢٠٠٤م.
- السيد يسين – القيم الثقافية بين النظرية والتطبيق – جريدة الأهرام بتاريخ ٤-١٢-٢٠٠٣م.
- السيد يسين – معاداة للسامية أم انتصار للحق؟ – جريدة الأهرام بتاريخ ٦-١١-٢٠٠٣م.
- السيد ياسين – تشخيص الوضع العربي – جريدة الأهرام بتـــاريخ ١٤-٨-٢٠٠٣م.
- السيد يسين – نحو نظرية لتخطيط السياسة الثقافية – جريـــدة الأهـــرام بتاريخ ٢٧-١١-١٩٨٧م.
- الشريعة الإسلامية والنظرة العالمية – افتتاح مجلة الدعوة(السعودية) العدد ٧٧٥ بتاريخ ٨-١٢-١٩٨٠م
- أمين محمد أمين – الإعلام والتطوير – جريدة الأهرام بتـــاريخ ٢٧-٦-٢٠٠٤م.
- د. أنور عبد الملك – كيف تكون معرفة الآخر؟ – جريدة الأهـــرام ١٦-٩-٢٠٠٣م.
- أنيس منصور ـــ مواقف ـــ جريدة الأهرام بتاريخ ١٤-٣-٢٠٠٤م.
- د. برهان غليون – الثقافة العربية بين التبعية والتبادل – جريدة الخلـــيج بتاريخ ٢٠-١٢-١٩٨٩م.
- د. بنت الشاطئ – في كل واد يهيمون – جريدة الأهرام – بتاريخ ١٢-٨-١٩٧٩م.
- د. حسن رجب – تكنولوجيا الكذب في حرب الخليج – جريدة الأخبـــار بتاريخ ٣٠-٣-٢٠٠٣م
- حسين أحمد أمين ـــ جناية وسائل الإعلام علي أهـــــل هـــذا الزمـــان ـــ

جريـــدة الأهـــرام بتاريـــــخ ١٧-١٠-٢٠٠٤م
- حسين أحمد أمين – تأملات في تطور كتابة سيرة النبي – صـــلى الله عليـــه وسلم – في الشرق والغرب – مجلة العربي – العـــدد ٢١٥ – أكتـــوبر ١٩٧٦م.
- رجائي عطية– الديان والغير.. ماذا قال العهد القديم والتلمود – جريـــدة الأهرام بتاريخ ١٢-٣-٢٠٠٤م
- زكي أحمد – مكونات القوة في فكر مالك بن نبي – مجلة العالم – العـــدد ٣٨٨
بتاريخ ٢٠-٧-١٩٩١م.
- سامح كريم – تجديد الخطاب الديني وعمـــل المجـــددين في الإســـــلام – جريـــدة الأهـــرام بتاريـــخ ٨-١٠-٢٠٠٣م.
- سعد لبيب – الأمن الثقافي والعمل الإذاعي – الدراســـات الإعلاميـــة – العدد ٤٩– أكتوبر ونوفمبر ١٩٨٧م.
- د. سعيد اللاوندي – المشهد العراقي، في البدء كانت الكذبة – جريـــدة الأهرام بتاريخ٢٤-٨-٢٠٠٤م.
- د. سعيد اللاوندي – كتاب جديد، صناعة الرأي العام – جريدة الأهرام بتاريخ ١٣-٢-٢٠٠٤م.
- د. سعيد عبده – بين شوقي وطه حسين – مجلة العربي – سبتمبر ١٩٧٨م.
- سلامة أحمد سلامة ـــ المنطقة تحت الوصاية ـــ جريدة الأهرام بتاريخ ١٩-٢-٢٠٠٤م.
- سلامة أحمد سلامة ـــ إفراط في التفاؤل ـــ جريدة الأهرام بتاريخ ٧-٢-٢٠٠٤م.
- سلامة أحمد سلامة ـــ صراع إسلاميات ـــ جريدة الأهرام بتـــاريخ ٢٩-١١-٢٠٠٣م.
- سلامة أحمد سلامة ـــ العرب ضيف شرف ـــ جريدة الأهرام بتـــاريخ ٩-٩-٢٠٠٣م.
- د. سيد عويس – من صور الغزو الثقافي – جريدة الأهرام بتاريخ ١٦-

٢-١٩٨٥م.
- صلاح الدين حافظ – ما وراء جدران الكراهية – جريدة الأهرام بتاريخ ٨-١٠-٢٠٠٣م.
- صلاح منتصر – لغتنا المعتدي عليها – جريدة الأهرام بتاريخ ٣٠-٩-٢٠٠٣م.
- عادل صلاحي – أبو أيوب الأنصاري – جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٢١ رجب ١٤٢١هـ.
- عادل صلاحي – الإيمان والنفاق والمصلحة الشخصية–جريدة الشرق الأوسط بتاريخ١٤-١-١٩٨١م.
- د. عاصم الدسوقى – التداخل الحضاري بين العرب والعالم – جريدة الأهرام بتاريخ ٩-٦-١٩٨٩م.
- عاطف الغمرى – كتاب جديد، القوة الإمبراطورية، ثمن الإمبراطورية الأمريكية لمؤلفه: نيل فيرجسون – جريدة الأهرام بتاريخ ١٨-٦-٢٠٠٤م.
- عبد الحليم محمد أحمد – خواطر حول أزمة العقل المسلم المعاصر – مجلة المسلم المعاصر – العدد الأول – نوفمبر ١٩٧٤م.
- عبد العال الحمامصي – دور الترجمة – مجلة أكتوبر بتاريخ ٢١-٤-١٩٩١م.
- عبد العزيز حمودة ــ نظرية المؤامرة أمس واليوم ــ جريدة الأهرام بتاريخ ٢-٣-٢٠٠٤م.
- د. عبد العزيز حموده – حديث الإمبراطوريات – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠-٥-٢٠٠٣م.
- د. عبد العظيم أنيس – غين فتحة غا – جريدة الأهالي بتاريخ ٢٦-١٢-١٩٨٤م.
- د. عبد العليم محمد – القضية الفلسطينية والإعلام الغربي – جريدة

الأهرام بتاريخ ١٩-٩-٢٠٠٣م.
- عبده مباشر ـــ المسلمون وأوربا وألف عام من الحروب ـــ جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧-٦-٢٠٠٤م.
- د. على جمعه - النموذج المعرفي الإسلامي وتجديد الخطاب الديني - جريدة الأهرام بتاريخ ١٠-٤-٢٠٠٤م.
- د. غالى شكري - رؤية نقدية - جريدة الأهرام بتاريخ ٦-٩-١٩٨٩م.
- فاروق جويدة - المؤامرة الكبرى - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧-٢-٢٠٠٤م.
- فهمى هويدى - عن معركة الأمعاء الخاوية - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤-٨-٢٠٠٤م.
- فهمى هويدى - نقطة نظام - جريدة الأهرام بتاريخ ٣.-٩-٢٠٠٣م.
- فهمى هويدى - صهينة الكلام - جريدة الأهرام بتاريخ ١٧-٦-٢٠٠٣م.
- كمال جاب الله ـــ هدف المركز نشر الفهم الصحيح للإسلام لدى الشعب الياباني ـــ جريدة الأهرام بتاريخ ٦-١١-٢٠٠٣م.
- د. ليلى تكلا - الأمبود سمان ومؤسسات حقوق الإنسان - جريدة الأهرام بتاريخ ٣٠-٩-٢٠٠٣م.
- محسن محمد - مؤامرة على تاريخ مصر الفرعوني - أخبار اليوم بتاريخ ٢٣-١-١٩٨٨م.
- د. محمد السعيد إدريس - الصهيونية المسيحية - جريدة الأهرام بتاريخ ٢١-٥-٢٠٠٤م.
- محمد سيد أحمد - هل صدام الحضارات نظرية صحيحة؟ - جريدة الأهرام بتاريخ ١٥-٤-٢٠٠٤م.
- محمد سيد أحمد - أين نقف مع بداية الألفية الثالثة؟ - مجلة العربي - العدد ٤٩٧- الكويت - أبريل ٢٠٠٠م.
- محمد سيد أحمد - هل تكنولوجيا العصر ضد الديمقراطية؟ -

جريدة الأهرام بتاريخ ٥-٣-١٩٩٢م.
- د. محمد عمارة – تجديد الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني – سلسلة مقالات بجريدة الأخبار بتاريخ ٢٤-١٠-٢٠٠٣م و ٣١-١٠-٢٠٠٣م و٧-١١-٢٠٠٣م و١٤-١١-٢٠٠٣م و ٢٨-١١-٢٠٠٣م.
- د. محمد عمارة – نظرات في الهجمة الأمريكية على الإسلام – جريدة الأخبار بتاريخ ١٢-٩-٢٠٠٣م ثم بتاريخ ١٩-٩-٢٠٠٣م.
- د. محمد عناني – عن ترجمة الأدب العربي – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤-١١-١٩٨٨م.
- محمود المراغي – الرأي العام – آخر من يعلم – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٩-٦-٢٠٠٤م.
- د. محمود حمدى زقزوق – إعادة بناء الثقة بين العالم الإسلامي والغرب – جريدة الأهرام بتاريخ ٢١-٨-٢٠٠٤م.
- د. مصطفى سلامة – العولمة بين التهويل والتهوين – جريدة الأهرام بتاريخ ١٣-٨-١٩٩٩م.
- د. مصطفى عبد الغنى– الجامعة العربية والتنظيمات الشبكية– جريدة الأهرام بتاريخ ٩-٦-٢٠٠٣م.
- مصطفى محمود عبد الله – الإسلام والمسلمون في إيطاليا – جريدة الأهرام بتاريخ ١٩-٦-٢٠٠٤م.
- د. مصطفى محمود – عن الغزو الثقافي وكلام الوزير – جريدة الأهرام بتاريخ ٢.-٧-١٩٩١م.
- مصطلحات فكرية – جريدة الأهرام بتاريخ ٧-٣-١٩٨٦م وتاريخ ٤-٩-١٩٨٦م وتاريخ ٣٠- ١٠- ١٩٨٧م و تاريخ ٨-

١٢-١٩٨٩م.

- مها عبد الفتاح – انفتاح جورباتشوف خطأ في الترجمة – جريدة الأخبار بتاريخ ٨-١١-١٩٨٧م.
- نادية خليفة – المراهقون قادمون – مجلة صباح الخير بتاريخ ٢٢-٧-٢٠٠٣م.
- يسرا الشرقاوي – الميديا الأمريكية بين تجربة الحرب ومحاولة الخروج من العزلة – جريدة الأهرام بتاريخ ١٨-١-٢٠٠٤م.
- د. يوسف القرضاوي – نحن والغزو الثقافي – جريدة الشعب القاهرية بتاريخ ٢١-٦-١٩٨٧م.
- د. يوسف زيدان – درس تاريخي في الترجمة – جريدة الأهرام بتاريخ ٥-٣-١٩٩٢.
- د. يونان لبيب رزق – ملف الإرهاب – قراءة عربية – المتعصبون– مجلة المصور بتاريخ ١٥-٥-١٩٩٢م.

رابعا: كتب أجنبية:

- Melvin L- De Fleur, Sandra Ball, Rokeach- THEORIES of MASS COMMUNICATION – Third Edition – David Mckay Company, inc- New York, 1976.
- International Encyclopedia of the social sciences - volume 3 – The Macmillan company and the Free Press 1968.

كتب للمؤلف

- الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر – الطبعة الأولى – دار الفكر العربي – ١٩٩٦.
- الإعلام والتنمية – الطبعة الرابعة – دار الفكر العربي – ١٩٨٨.
- صناعة الكتاب ونشره – الطبعة الثالثة – دار المعارف – ١٩٨٣.
- الإعلام واللغة – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٨٤.
- المؤسسة الصحفية – الطبعة الثانية – مكتبة الخانجي – ١٩٨٤.
- المسئولية الإعلامية في الإسلام – الطبعة الأولى – مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض – ١٩٨٣ – الطبعة الثانية – الجزائر – المؤسسة الوطنية للنشر – ١٩٨٦.
- الزيات والرسالة – الطبعة الأولى – دار الرفاعي بالرياض — الطبعة الثانية – كتاب الجمهورية – القاهرة – ٢٠٠٨.
- هيكل والسياسة الأسبوعية – الطبعة الأولى – دار الرفاعي بالرياض – ١٩٨٢ – الطبعة الثانية – سلسلة تاريخ المصريين – الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الصحافة بين التاريخ والأدب – دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٨٥.
- موعد في النجوم (ديوان شعر) – دار "تي" – ١٩٦٧.
- سجين الربذة (مسرحية شعرية) دار المأمون للطباعة والنشر – ١٩٧٩.
- ما ينفع الناس (ديوان شعر) – دار المأمون للطباعة والنشر – ١٩٨٣.
- الغناء أمام أبواب الجنة (ديوان شعر) دار الفكر العربي – ١٩٩٦.
- ليوناردو دافنشي – دار الثقافة العربية – الطبعة الثانية – ١٩٨٩.
- أغنية المسير (مسرحية) – دار الثقافة العربية – ١٩٨٩.